التَّمييزُ فِي فَوَاصِلِ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ ومناسبتُهُ المَعْنَى

د/ نصر سعيد عبد المقصود حسن علي
الأستاذ المساعد في قسم القراءات
في كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على الخاتم الذي لا نبي بعده، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، ..وبعد..

فإن البحث في دلالة الألفاظ القرآنية جِدُّ دقيق، ولابد له من توافر الأدوات العلمية لإنجازه على أحسن الوجوه، وعلى قدر ما يُبذل فيه من جهد ومشقة يُنال من بركاته و فيوضاته.

وهذا بحث في دلالة الألفاظ القرآنية، الواقعة في ختام الآيات القرآنية، ودلالة إعرابها تمييزا، سواء اتفق العلماء على هذا الإعراب أم اختلفوا، ومناسبة هذه الألفاظ المعنى.

فقد استوقفني هذا التمييز الواقع في ذيل الآيات طويلا، من نحو قوله تعالى : ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاء سَبِيلاً﴾ (النساء/ ٢٢).

وساءلت نفسي : ما سر قوله(سبيلا)؟ ولم لم تكن(طريقا)؟وما علاقة ذلك بالسياق؟

ومثله قوله : (ومن أصدق من الله حديثا)، وقوله : (ومن أصدق من الله قيلا)، فما الفرق بين الحديث والقول؟، ولم اختصت كل آية بما جاء فيها؟، وما أثر إعرابها تمييزا في المعنى؟، وهل حُكْمُ العلماءِ بأن القولَ والقِيلَ مصدران بمعنىً واحدٍ-على إطلاقه؟

ونحو مجيء بعض أسماء الله الحسنى في ختام الآيات تمييزا أو حالا، مثل قوله : (وكفى بالله حسيبا)، و(وكفى بالله شهيدا)، و(كفى بالله وكيلا)، فما علاقة الاسم بالسياق، وما الفرق بين التمييز والحال في المعنى؟، وغير ذلك مما أفاض الله به عليَّ في هذا البحث.

ثم إن إحكام الفواصل القرآنية لمن دلائل الإعجاز في القرآن الكريم، وحججه الدامغة على إحكام بنائه، وتناسب كلماته وآياته؛فلم تختم آية بكلمة إلا ولها من حق الختام الحظ الأوفر، من حيث الدلالة اللفظية، و الصوتية، والصيغة الصرفية، و الحالة الإعرابية.

و طبيعة الاختيار في القرآن الكريم إنما تأتي بحسب حاجة السياق أو النظم لا بحسب مطلبٍ شكلي مسبق يُفرض على السياق، لذلك فإن ختام الآيات-بوجه عام-و فواصلَه-بوجه خاص-تكون تابعة للمعاني، والقرآن الكريم معجز في لفظه ومعناه.

ونعني بالفاصلة تلك الكلمة التي تختم بها الآية من القرآنأ وإنما جاءت الفاصلة في كتاب الله العزيز لغرض معنوي يحتمله السياق، و تقتضيه الحكمة، يظهر لمن أعمل الفكر، وأطال النظر في سور القرآن الكريم وآياته، ولا يتجلى للكلمة القرآنية إعجاز إلا عند اتصالها بغيرها من كلمات الآية، وهذا ما قرره عبد القاهر(رحمه الله) في نظرية النظم.

وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام "[١]، وسأحاول في هذا البحث التعلق بمن يجيد السباحة في النحو، والدلالة، والبلاغة، والتفسير وعلوم القرآن؛للإفادة مما كتبه العلماء حول موضوع بحثي المعنون ب : (التمييز في فواصل الآيات القرآنية ومناسبته المعنى).

*أهمية البحث وأهدافه : هذا موضوع يستحق الدراسة، ويستوجب العرض؛لتعلقه بكتاب الله تعالى، الذي هو أشرف العلوم، وأجلها؛ولما تحمله كلمة التمييز من معاني : التميز، والفرز، والاستقلال، و الانفصال، والتفسير، والبيان- ولما بين الفاصلة القرآنية-بوجه عام-و الآية التي هي فيها، وما قبلها من علاقة وثيقة-حاولت من خلال هذه الدراسة المتواضعة الوقوف على جانب من جوانب إعجاز الفاصلة القرآنية؛ للكشف عن شيء من أسرار هذه الفواصل المختارة لتكون تمييزا (بالمعنى اللغوي والنحوي)، ولمعرفة موقف اللغويين والمفسرين من التمييز المتفق على إعرابه، والتمييز المختلف في إعرابه، ودلالات كلٍ .

*حدودالبحث :

أولا-يتحدد هذا البحث في تمييز النسبة المنصوب الواقع في أواخر الآيات القرآنية؛حيث يتناول ألفاظ التمييز الواقعة في ختام الآيات القرآنية، سواء المتفق على إعرابها أم المختلف فيها، مبينًا الدلالات اللغوية لهذه الألفاظ محاولا التركيز على أثر إعراب هذه الألفاظ في السياق، ومُسَلِّطا الضوءَ على أثر الدلالات الأخرى في المعنى .

ثانيا-توسع البحث قليلا في مفهوم الفاصلة القرآنية، لتشمل ما تعلق بها من صفة، أو معطوف عليه؛لأنني قصدت المعنى، وقد رأيت مناسبة مصطلح(الفاصلة) لهذا البحث؛لكثرة وقوع التمييز المنفرد (أي : الكلمة الواحدة) آخر الآيات، وما جاء من تعدد التمييز في ختام الآيات محدود، كما أن فكرة البحث قائمة على : (إحكام الدلالة اللغوية لكلمة آخر الآية، ومناسبتها المعنى).

*منهج البحث :

اقتضت طبيعة البحث اتباع المنهج الاستقرائي، والوصفي والتحليلي، وذلك بحصر مواضع التمييز (تمييز النسبة) كما ورد في ختام الآيات القرآنية مع التثبت من كونها فاصلةً متفقًا عليها، من خلال كتب الفواصل[٢]، والوقوف على رأي النحاة واللغويين والمفسرين فيها، ثم ترجيح ما يلزم، مما يقع فيه الخلاف، ودلالة هذه الألفاظ ، وعلاقتها بالآية، ثم بيان أثر التمييز في معناها.

* ـ الدراسات السابقة :

(١) ينظر: الإعجاز في دراسات السابقين، عبد الكريم الخطيب ٢٠٦، ٢٠٧ .دار الفكر العربي : ١٩٧٤م.

(٢) نحو كتاب القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز، للمخللاتي، تحقيق:عبد الرازق بن علي بن إبراهيم، ط/ الأولى١٩٩٢م

تناول الباحثون موضوع التمييز بالدرس والتحليل من جوانب عديدة ودراسات مختلفة ما بين كتب ورسائل علمية قيّمة كان لها أبلغ الأثر في إثراء المكتبات وخدمة طلاب العلم، و بعد البحث والاطلاع على جهود العلماء السابقين(في حدود ما وقفت عليه) حول موضوع (التمييز في فواصل الآيات القرآنية ومناسبته المعنى) لم أجد رسالة علمية، ولا كتابا تناول هذا الموضوع، بهذه الخَصِيصَة المذكورة في عنوان بحثي، ولكن تنوعت الدراسات حول موضوعَي(التمييز)، و (الفاصلة)ما بين النحاة والأصوليين، والبلاغيين، ومن أهم هذه الدراسات القريبة من بحثي دراستان :

الدراسة الأولى-الخلاف النحوي في التمييز في القرآن الكريم على رواية حفص، وهو بحث نحوي للدكتور أحمد سهام منشور في مجلة مداد الأدب، في الجامعة العراقية.

وقد قسم بحثه إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ذكر فيه ألفاظا اختلف في إعرابها على وجهين.

والمبحث الثاني : ذكر فيه ألفاظا اختلف في إعرابها على ثلاثة أوجه.

والمبحث الثالث : في ألفاظ اختلف فيها الإعراب على أكثر من ثلاثة أوجه.

واكتفى البحث بذكر أمثلة من التمييز الواقع في القرآن الكريم وخلاف العلماء في إعرابه، ولم يتعرض للتمييز الواقع في ذيل الآية أو الفاصلة القرآنية، أو لما نحن بصدد الحديث عنه.

الدراسة الثانية-التمييز في القرآن الكريم دراسة نحوية دلالية، رسالة ماجستير لحازم ذنون إسماعيل السبعاوي، كلية التربية في جامعة الموصل في اللغة العربية، عام٢٠٠٤م.

وقد قسم البحث إلى تمهيد وفصلين وخاتمة.

ففي التمهيد تعريف التمييز في اللغة والاصطلاح، وتسميته عند النحاة، وخلافهم فيه.

وفي الفصل الأول تناول الباحث فيه التمييز المفرد، الواقع بعد العدد، وما دل على المقادير (الوزن والكيل والمساحة)على الرغم من أنها لم تذكر في القرآن، ولكنه –تتمة للفائدة-ذكر أمثلة نثرية، ثم تناول التمييز الواقع بعد شبه المقادير، وكنايات العدد.

وفي الفصل الثاني تناول الباحث تمييز النسبة، فذكر التمييز المحول من الفاعل، والمحول من المفعول، ومن المبتدأ، وتمييز أفعال المدح والذم، وما جرى مجراهما، من أفعال،

ولم يتناول البحث جميع الأمثلة القرآنية، وإن ذكر عدد مواضعها في القرآن الكريم إجمالا.

وليس في هذه الرسالة شيء مما يتعلق بالتمييز الواقع في فواصل الآيات موضوع الدراسة، و إنْ عرض لبعض الأمثلة على سبيل الإجمال، وبصبغة نحوية صرفة.

* مشكلة البحث :

تتلخص مشكلة البحث في الإجابة عن الأسئلة الآتية :

س١/ ما المواضع التي جاء التمييز في فواصل الآيات؟

س٢/ ما أثر التمييز الواقع في فواصل الآيات ؟

س٣/ ما المواضع المتفق في إعرابها تمييزا، وما المواضع التي اختلفوا فيها؟

س٤/ ما المعنى الذي يترتب على اختلاف المعربين للتمييز الواقع في فواصل الآيات؟

س٥/ ما الفرق بين التمييز والحال، وغيره-من وجوه الإعراب الأخرى- وما أثر ذلك على المعنى؟

س٦/ ما السر في اختيار الكلمة الواقعة تمييزا في نهاية الآية؟

س٧/ ما وجه الإعجاز في التمييز الواقع فاصلة؟

س٨/ ما العلاقة بين التمييز وسياق الآية؟

واقتضت طبيعة البحث أن يكون في ثلاثة مباحث، مسبوقة بمقدمة وتمهيد، ومشفوعة بخاتمة، ومذيلة بقائمة بالمصادر والمراجع.

المقدمة : فيها أهمية البحث وأهدافه، وحدوده، ومنهجه، والدراسات السابقة، ومشكلة البحث، وخطته.

والتمهيد : ذكرت فيه تعريف التمييز وأقسامه، والفرق بينه وبين الحال، الفاصلة عند علماء القرآن، والفرق بينها وبين التذييل.

المبحث الأول : أسماء الله الحسنى الواقعة تمييزا في فواصل الآيات ومناسبتها المعنى.

وفيه ثمانية مطالب :

المطلب الأول : قوله تعالى : (وكفى بالله حسيبا)، ونظائره، ودلالاته.

المطلب الثاني : قوله تعالى : (وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا)ودلالته.

المطلب الثالث : قوله تعالى : (وكفى بالله شهيدا) ونظائره، ودلالاته.

المطلب الرابع : قوله تعالى : (وكفى بالله وكيلا)، ونظائره، ودلالاته.

المطلب الخامس : قوله تعالى : (وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا)، ونظيره، ودلالاته.

المطلب السادس : قوله تعالى : (إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا)

المطلب السابع : قوله تعالى : (وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا)، ودلالته.

المطلب الثامن : قوله تعالى : (وكفى بالله عليما)، ودلالته.

المبحث الثاني : تعدد التمييز في فواصل الآيات ومناسبته المعنى، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : دلالة التمييزَيْن في فاصلة الآية، وأثر الإعراب في المعنى، وفيه اثنتا عشرة مسألة :

المسألة الأولى : في قوله : (وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا).

المسألة الثانية : في قوله : (أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا).

المسألة الثالثة : في قوله : (هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا).

المسألة الرابعة : في قوله : (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا).

المسألة الخامسة : في قوله : (: (فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا).
المسألة السادسة : في قوله : (أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا).
المسألة السابعة : في قوله : (فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا).
المسألة الثامنة : في قوله : (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا).
المسألة التاسعة : في قوله : (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا).
المسألة العاشرة : في قوله : (فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا).
المسألة الحادية عاشرة : في قوله : (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا)
المسألة الثانية عشرة : في قوله : (أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا).

المطلب الثاني : دلالة التمييز وما عطف عليه، وأثره في المعنى، وفيه أربع مسائل :
المسألة الأولى : في قوله : (إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا).
المسألة الثانية : في قوله : (هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا).
المسألة الثالثة : في قوله : (إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا).
المسألة الرابعة : في قوله : (حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا).

المبحث الثالث : التمييز المنفرد في فواصل الآيات ومناسبته المعنى، وفيه مطلبان :
المطلب الأول : الفروق الدلالية بين ما يظن به الترادف، وفيه ثماني مسائل :
المسألة الأولى : دلالة لفظ (سبيلا) في ختام الآيات، وأثر الإعراب في المعنى.
المسألة الثانية : دلالة لفظي(تأويلا وتفسيرا) في ختام الآيات، وأثر الإعراب في المعنى.
المسألة الثالثة : دلالة لفظي(حديثا وقِيلا) في ختام الآيات، وأثر الإعراب في المعنى.
المسألة الرابعة : دلالة ألفاظ (مصيرا، ومنقلبا، وعقبا، وأملا ومردا)، وأثر إعرابها في المعنى.
المسألة الخامسة : دلالة لفظي(قرينا، ورفيقا)، وأثر الإعراب في المعنى.
المسألة السادسة : دلالة لفظي(عملا وأعمالا)، وأثر الإعراب في المعنى.
المسألة السابعة : دلالة لفظي(نفيرا ونفرا)، وأثر الإعراب في المعنى.
المسألة الثامنة : دلالة لفظ(عتيا)، والفرق بينه وبين(عتوا)، وأثر التمييز في المعنى.
المطلب الثاني : دلالة التمييز الفذ في الفاصلة القرآنية، وفيه أربع مسائل :
المسألة الأولى : دلالة التمييز الواقع بعد(كفى) (في غير أسماء الله الحسنى)، وأثره في المعنى.
المسألة الثانية : دلالة التمييز الواقع بعد أفعال المدح والذم، وأثر الإعراب في المعنى.
المسألة الثالثة : دلالة التمييز الواقع بعد(أفعل)، وأثر الإعراب في المعنى.
المسألة الرابعة : (متفرقات)، وفيها ثلاثة مواضع :
الموضع الأول : في قوله : (إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا).

الموضع الثاني : في قوله : (لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا).

الموضع الثالث : في قوله : (قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا).

والخاتمة : ذكرت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

واللهَ أسألُ التوفيق والسداد، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم!

التمهيد

تعريف التَّمييز :

"امتاز القوم : تنحت عصابة منهم ناحية، ومزت الشيء : فصلت بعضه من بعض، ومزت الشيء : عزلته وفرزته"(١)، ومن ذلك استعمل في مفارقة المكان"ماز الرجل : انتقل من مكان إلى مكان"(٢).

والمعنى المحوري لمادة(م ي ز) يدور حول : افتراق ماهو متجمع، أو تباعد بعضه عنه، كتنحي العصابة من الناس عن سائرهم، وكانقسام الشيء(٣)، كقوله تعالى : (لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ)، وقوله سبحانه : (مَّا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ)[آل عمران/ ١٧٩]، وقوله تعالى : (تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ)[الملك/ ٨]يعني : تتقطع وينفصل بعضها من بعض(٤)، وقوله : (وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ)(يس/ ٥٩)أي : "انفردوا عن المؤمنين؛ لأن المحشر جمع البر والفاجر، فأُمِر المجرمون بأن يكونوا على حدةٍ من المؤمنين، وذلك توطئة لتوجيه التوبيخ والتقريع إليهم"(٥).

والتمييز في الاصطلاح :

اسم صريح نكرة جامد فضلة، مفسر ما أبهم من الذوات والنسب.

---

(١) ينظر:لسان العرب، لمحمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور(ت: ٧١١هـ)، (باب الزاي-فصل الميم)٥/ ٤١٢، الناشر: دار صادر – بيروت، ط/ ٣- ١٤١٤ هـ.

(٢) المرجع السابق ذاته.

(٣)المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم لأستاذي الدكتور محمد حسن جبل (ميز)٤/ ٢٠٦٧، مكتبة الآداب، القاهرة، ط/ ١، ٢٠١٠..

(٤) ينظر:الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، ١٨/ ٢١٢.، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة ، ط/ ٢، ١٣٨٢/ ١٩٦٤م.

(٥) ينظر:البحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، ٩/ ٧٧، تح/ صدقي محمد جميل، دار الفكر- بيروت، ط١٤٢٠ه.

والتمييز مصطلح بصري والتفسير مصطلح كوفي[١] .

ونلحظ العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي؛حيث إن التمييز يوضح ما أبهم، فالمبهم كالمتجمع وتفريقه كتفسيره وكشف مبهمه.

وهو اسم منصوبٌ أو مجرورٌ نكرةٌ عند البصريين، ومعرفة أو نكرة عند الكوفيين، ومتضمن معنى (من) لبيان ما قبله من إبهام، في اسم أو نسبة[٢].

"ومما ينبغي أن نتنبه له أن معنى قولهم في تعريف التمييز"بمعنى من" أنه قد جيء به لتبيين المميَّز، كما أن "من" تجيء لبيان جنس ما قبلها، وليس المراد به أن "من"مقدرة قبل التمييز، فإن هذا المعنى لا يطرد في كل أنواع التمييز، فلا يكون مرادا"[٣]

والتمييز – عند النحاة – نوعان :

الأول : تمييز المفرد أي كلمة واحدة، وهو ما رفع إبهام اسمٍ قبله مُجْمَل الحقيقةٍ وتمييز المفرد له مظانٌّ منها : أنه يقع بعد المقاديرٍ وهي عبارة عن المساحاتٍ كذلك يقع بعد الكيلٍ كذلك بعد الوزنٍ كذلك كل ما يقع بعد الأعداد من أحد عشر إلى تسعةٍ وتسعين فهو تمييز منصوب[٤] .

والثاني : تمييز النسبة : وهو التمييز الذي يُزيل الإبهام والغموض عن النسبة المبهمة، والمراد به رفع إبهام ما تضمنه من نسبة عامل(فعلا كان أو غيره)، وينقسم قسمين : محول أو غير محول :

١ – التمييز المحول : وهذا التمييز يكون محولاً عن المبتدأ، نحو قوله تعالى : (أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) [الكهف : ٤٣]، والأصل : مالي أكثر من مالك، ونفري أعزُّ، وهو تمييز أفعل التفضيل، وتارة يكون محولاً عن الفاعل، كقوله تعالى : (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) [مريم : ٤]. فإن نسبة اشتعل إلى الرأس مبهمة، و(شيبًا) مُبينٌ لذلك الإبهام، والأصل : واشتعل شيب الرأس، فحول الإسناد من المضاف وهو (شيب) إلى المضاف إليه وهو (الرأس). فارتفع ثم جيء بذلك المضاف الذي حُوِّل عنه الإسناد فضلةً وتمييزاً، وتارة يكون محولاً عن المفعول، كقوله تعالى : (وَفَجَّرْنا الأَرْضَ عُيُونًا) [القمر : ١٢]. فإن نسبة فجرنا إلى الأرض مبهمة و(عيونًا) مبين لذلك الإبهام، والأصل : وفجرنا

---

(١) ينظر:الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات الأنباري، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، ط/ ٤، المكتبة التجارية، مصر، ١٩٦١م، وينظر:مجالس ثعلب٤٩٢، والمدارس النحوية، شوقي ضيف١٦٦، ١٦٧.

(٢)ينظر:اللمع في العربية لابن جني١١٩، ١٢٠، تح/ حامد عبد المؤمن، ط/ ٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م، وشرح اللمع للعكبري١/ ١٣٣، ١٣٩، تح/ د.فائز فارس، ط/ ١، مطابع الكويت، ١٩٧٤م.

(٣) طريق السالك على أوضح المسالك، لمحمد محيي الدين عبد الحميد، هامش٢٨٢ج/ ٢، ص/ ٣٦٢.

(٤) ينظر:شرح قطر الندى وبل الصدى، لابن هشام١/ ٢٣٨، تح/ محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة ، ط/ ١١ ، ١٣٨٣ه.

عيون الأرض، فحول المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. وجيء بالمضاف تمييزاً[١]. والغرض من التحويل الاتساع والشمول والمبالغة.

٢- التمييز السماعي : وهذا النوع من التمييز ورد في القرآن بعد الفعل (كفى)، واختلف أكثر النحاة في المنصوب : أهو تمييز أم حال، ونعني به ذلك المنصوب الذي يرد كثيراً في جمل التعجب، والمدح والذم، نحو قولهم : (للهِ درُّهُ فارسًا).

فقال بعضهم : هو حال، بدليل أنه مشتق في أغلب الأحيان، والتمييز لا يكون إلا جامدا.

وقال آخرون : بل هو تمييز؛لأنه يُبين الجهة التي جرى منها التعجب أو المدح أو الذم فقولنا : (لله دره فارسًا) يعني (لله درّه من حيث فروسيته)[٢] .

والتمييز يُزيل الإبهام عن الذات أو النسبة، أما الحال فهو لبيان الهيئة.

ويمكن تلخيص الفرق بين التمييز والحال(على خلاف في بعضها) فيما يأتي[٣] :

كل من الحال و التمييز يأتي اسما منصوبا، فضلة، نكرة(في الأصل)، مفسرا لمبهم.

ولكنهما يختلفان في الأوجه الآتية :

١- أن الحال يفسر مبهما (هيئة صاحب الحال) نحو : جاء زيد راكبا، والتمييز يفسر مبهما من ذات أو نسبة، مثل : تصبب زيد عرقا.

٢- الحال تأتي في الأصل مشتقة، والتمييز يأتي في الأصل جامدا.

٣-الحال تأتي جملة أو شبه جملة، أو مفردا، والتمييز يكون كلمة واحدة.

٤- الحال قد لا يستغني عنه، مثل قول الله تعالى(ولا تمش في الأرض مرحا) فمرحا حال إذا حذفت اختل المعني، بخلاف التمييز.

٥- الحال يجوز تقديمه على صاحبه بالشروط المعروفة فتقول باكيا جاء زيد، و التمييز لا يجوز تقديمه على قول الجمهور.

٦- الحال يتعدد من غير عطف، والتمييز-عند النحاة- لا يتعدد إلا بعطف، والأمر ليس على إطلاقه كما أثبت البحث.

والذي يعمل النصب في التمييز هو الاسم المبهم في حال التمييز المفرد، والفعل أو ما أشبهه في حال تمييز النسبة[٤].

---

(١) ينظر:أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام الأنصاري، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد ٢/ ٣٦٢، هامش١ للمحقق، المكتبة العصرية، بيروت، ط.د.ت.

(٢) ينظر:العوامل المائة النحوية في أصول علم العربية، للشيخ عبد القاهر الجرجاني، ص ، شرح الشيخ/ خالد الأزهري، وتح/ د.البدراوي زهران، ط/ ٢، ١٩٨٨م.

(٣) ينظر:مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام١/ ٦٠١، وما بعدها، باختصار.

(٤)ينظر: همع الهوامع ص ٢٦٣ – ٢٦٧، باختصار وتصرف.

الفاصلة، والتذييل والفرق بينهما :

الفاصلة في اللغة يدور معناها حول تميز الشيء عن غيره مع تمام[١]، كتميز كلٍّ من عُضْوَي المَفْصِل، والمَفصِل(على زنة مَفعِل-بفتح الميم وكسر العين كمجلس) : كل ملتقى عظمين من الجسد، ونحو : الخرزة التي تفصل بين اللؤلؤتين أو نحوهما في النظام.

وعرفها الأزهري(ت٣٧٠هـ) بقوله : " وأواخر الآيات في كتاب الله فواصل، بمنزلة قوافي الشِّعر، واحدتها فاصلة. وقول الله جل وعز : {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ} له معنيان : أحدهما -تفصل آياته بالفواصل، والمعنى الثاني فصَّلناه : بيّناه".

وعرفها الداني(ت٤٤٤هـ) بقوله"هي كلمة آخر الجملة"[٢]

وقال ابن منظور(ت٧١١هـ) : "الفواصل أواخر الآيات في كتاب الله" [٣].

و قال الزركشي(ت٧٩٤هـ) : "الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع" [٤].

وفرق الداني بين الفواصل ورؤوس الآي فقال : الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس وكذلك الفواصل يكن رؤوس آية وغيرها وكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية[٥].والذي أرجحه هو رأي ابن منظور والزركشي في كون الفواصل أواخر الآيات، وعليه نسير في هذا البحث.

وسميت فاصلة لأنها فصلت بين الآيتين، الآية التي هي رأسها، والآية التي بعدها، ولعل هذه التسمية أخذت من قوله تعالى : {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}(هود/ ١)، وقوله : {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}(فصلت/ ٣) .[٦]

قلت : وحينئذٍ يلزم التحقق من كونها آخرً الآية عن طريق مؤلفات العلماء في الفواصل القرآنية.

و(التذييل) لغة : مصدر (ذيَّل)، وهو جَعلُ الشيء ذيلاً للآخر.

وعرفه الزركشي بقوله : "أن يُؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول؛ تحقيقًا لدلالة منطوق الأول، أو مفهومه؛ ليكون معه كالدليل؛ ليظهر المعنى عند من لا يفهم، ويَكْمُل عند من فهمه"[٧]، وهو من مظاهر انسجام النص القرآني وتماسك بنائه و تناسب أجزائه، و قد جاء في القرآن

---

(١) ينظر:المعجم الاشتقاقي (فصل)٣/ ١٦٧٨.

(٢) البيان في عد آي القرآن لأبي عمرو الداني، ١٢٨، ط/ ١، تح/ غانم قدوري الحمد، الكويت، مركز المخطوطات والتراث : ١٩٩٤م.

(٣) ينظر:لسان العرب(باب اللام، فصل الفاء)١١/ ٥٢٢.

(٤)البرهان في علوم القرآن للزركشي، ١/ ٥٣، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٥)البيان للداني١٢٨.

(٦)من مقال للشيخ عبد الفتاح القاضي، في مجلة الجامعة الإسلامية، العدد٣٥، ٣-٦، سنة١٣٩٦ه.

(٧) البرهان ٣/ ٦٨.

على ثلاثة أضرب : الأول : في ختام الآيات[١]، وهو الأكثر والثاني : أن يأتي آية برأسه[٢]، و الثالث : أن يأتي في وسط الآية[٣].

وعلى هذا فالتذييل أعم من الفاصلة.

والفاصلة يراعى فيها التناسق الصوتي والمعنوي جميعا، وأما التذييل فيراعى فيه الانسجام المعنوي، وتحقيق التماسك والترابط بينه، وبين أجزاء الكلام السابق وبنيانه.

يقول الزركشي : "اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله، فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولا، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض، وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك، لكن منه ما يظهر، ومنه ما يستخرج بالتأمل للبيب، وهي منحصرة في أربعة أشياء : التمكين والتوشيح والإيغال والتصدير .

والفرق بينها أنه إن كان تقدم لفظها بعينه في أول الآية سمي تصديرا، وإن كان في أثناء الصدر سمي توشيحا، وإن أفادت معنىً زائدًا بعد تمام معنى الكلام سمي إيغالا، وربما اختلط التوشيح بالتصدير لكون كل منهما صدره يدل على عجزه، والفرق بينهما أن دلالة التصدير لفظية ودلالة التوشيح معنوية...والتمكين : هو أن تمهد قبلها تمهيدا تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافذة ولا قلقة، متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما بحيث لو طرحت اختل المعنى واضطرب الفهم .

وهذا الباب يطلعك على سر عظيم من أسرار القرآن، فاشدد يديك به"[٤].

ومصطلح(الفاصلة) ينطبق على التمييز الواقع في ختام الآيات القرآنية-في هذا البحث- ؛حيث جاءت هذه المواضع فواصل للآيات الكريمة، كما أن بعض المواضع جاء مقترنا بتمييز سابق عليه، أو جاء معطوفا على تمييز آخر، وهذا داخل فيه؛إذ هما كالكلمة الواحدة، و مراعاة المعنَى هنا هو المعنِيُّ، كما سيتضح في البحث إن شاء الله تعالى!

---

(١)ومن أمثلته: قوله تعالى: {ذلك جزيناهم بما كفروا}، ثم قال عز وجل: {وهل نجازي إلا الكفور} (سبأ:١٧).

(٢) ومثاله: قوله سبحانه: {واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم}، ثم قال عز وجل: {والفتنة أشد من القتل} (البقرة:١٩١)، فالجملة الأخيرة جاءت في وسط الآية، وهي تذييل للسابقة لها، يفيد عموم الخبر.

(٣) ومثاله: قوله تعالى: {قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين} (ص:٨٦)، ثم قال في الآية التالية: {إن هو إلا ذكر للعالمين} (ص:٨٧)، فهذه الآية تذييل لسابقتها، تفيد عموم رسالته صلى الله عليه وسلم للعالمين.

(٤) البرهان في علوم القرآن، بَدْر الدِّينِ مُحَمَّد بْن عَبْدِ اللهِ بْن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) ١/ ٧٨، ٧٩، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: ١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

المبحث الأول
أسماء الله الحسنى الواقعة تمييزا في فواصل الآيات، ومناسبتها المعنى

قوله تعالى : (وكفى بالله حسيبا)، ونظائره، ودلالاته :

الموضع الأول : قوله تعالى : (وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا)(النساء/ ٦)، ونظيره في الآية٣٩ من سورة الأحزاب.

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت هذه الآية الكريمة بعد خمس آيات من مطلع سورة النساء، في معرض الحديث عن التقوى وصلة الأرحام، والإعلام بمراقبة الله عز وجل على جميع الأعمال، والأمر بإيتاء حقوق اليتامى والنساء، وتحرى الحلال في أكل شيء منها، والتثبت من رشد اليتيم قبل تسليمه حقَه؛حتى لا يضيع، والإشهاد على ذلك، ثم ختمت الآية التي معنا بقوله : (وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا) فاصلةً مؤكدة على معاني الحقوق وحسابها، ومراقبة الله –وحده فيها– و كفاية الله لعبده محاسبا، ونلحظ اكتناف معاني الحساب من أجل أداء الحقوق لهذه الفاصلة من بين يديها ومن خلفها، من ذكر النفس الواحدة، ثم انبثاث الأعداد الكثيرة من الذرية، و أداء الأموال إلى أصحابها، والتحذير من ظلم اليتيمة في مهرها إذا ما أراد الولي أن ينكحها، فالنساء غيرها كثيرات، مثنى وثلاث ورباع، هذا في السباق، وما تبع الفاصلة من لحاق تتعلق بقسمة الميراث (فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)(النساء/ ١١).

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

اختلف العلماء في إعراب(حسيبا) ، فمنهم من أعربه حالا، ومنهم من أعربه تمييزا.

فيرى العكبري أن(حسيبا)" حَالٌ، وَقِيلَ : تَمْيِيزٌ، وفِي فَاعِلِ كَفَى وَجْهَانِ : أَحَدُهُمَا : هُوَ اسْمُ اللهِ، وَالْبَاءُ زَائِدَةٌ، دَخَلَتْ لِتَدُلَّ عَلَى مَعْنَى الْأَمْرِ؛إِذِ التَّقْدِيرُ : اكْتَفِ بِاللهِ، وَالثَّانِي : أَنَّ الْفَاعِلَ مُضْمَرٌ، وَالتَّقْدِيرُ : كَفَى الِاكْتِفَاءُ بِاللهِ، فَبِاللهِ عَلَى هَذَا فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ مَفْعُولًا بِهِ، وَكَفَى يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ، وَقَدْ حُذِفَا هُنَا، وَالتَّقْدِيرُ : كَفَاكَ اللهُ شَرَّهُمْ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ : (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ) [الْبَقَرَةِ : ١٣٧][1].

---

(١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، للعكبري(ت٦١٦ه)١/ ١٣٣، تح/ علي محمد البجاوي، الناشر:عيسى البابي الحلبي ، ط.د.ت، بتصرف يسير.

ولا أرتضي إطلاق لفظ الزائد على حرف من أحرف القرآن الكريم، وإن اصطلح النحاة على زيادته؛وذلك لأن له وجها آخر، وهو أن يكون معناه : (اكتف بالله)، فالفاعل ضمير المخاطب، وبالله في موضع المفعول، وهذا أوجه-عندي-من جعل الفاعل ضميرا عائدا على المصدر، أي : الاكتفاء.

وحقيقة كلام الزجاج[١] أن دخول الباء من أجل الدلالة على أن معناه الأمر، أي : اكتفِ، كما ذكر أبو حيان[٢] أن دخولها يؤدي إلى مضاعفة معنى الفعل، لأن الكفاية منه سبحانه ليست كالكفاية من غيره، فضوعف لفظها لمضاعفة معناها.

فدخول الباء هنا-كما ذكر أبو حيان- يدل على أن كفاية الله تعالى ليست ككفاية البشر؛إذ إن كفاية البشر لها حدود وقيود، وكفاية رب القوى والقدر مطلقة بلا حد ولا قيد، لأنها كفاية الحق للخلق، وما عداه مكفول.

والدليل على دلالة هذه الباء على معنى قوة الفعل وتفرده، أنها لم تأت إلا في مقام جِدٍّ خطير، كما في قضية أداء حق اليتامى هنا، و سيأتي المزيد من الأمثلة.

وامتدح ابن هشام[٣] كلام الزجاج فقال : وهو من الحسن بمكان، ويصححه قولهم : (اتقى اللهَ امرُؤٌ فَعَل خيرا يُثب عليه)، أي : ليتق وليفعل؛بدليل جزم (يُثب)، ويوجهه قولهم : كفى بهند-بترك التاء، أي : أن هندا لو كانت فاعلا لجلبت معها التاء، فقيل : كفت بهند، كما تقول : أكلت هند.

وهذا التوجيه منسجم مع جميع نظائرها في هذا المبحث.

(حسيبا) صفة مشبّهة للفعل حسَب يحسُب باب نصر، وزنه فَعِيل، وهو بمعنى المُحاسِب[٤]،

وعليه فقد اختلف المفسرون في معناه، فهو عند الطبري(٣١٠هـ) بمعنى كاف من الشهود الذين يشهدهم والي اليتيم على دفعه مال يتيمه إليه"[٥]، وكذا عند الزجاجي(ت٣٤٠هـ)" فيكون فعيلاً في معنى مُفْعِل كأليم ونحوه"[٦].

---

(١) ينظر:معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبي إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، ٢/ ٥٧، تح/ عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ط/ ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

(٢)ينظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف، أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)تح/ صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، ط/ ١٤٢٠ هـ: ٣/ ٦٥٩.

(٣) ينظر:مغني مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لعبد الله بن يوسف، أبي محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت: ٧٦١هـ)ص١٤٥، تح/ د. مازن المبارك، الناشر: دار الفكر – دمشق، وفيه:" وَلَا تزاد الْبَاء فِي فَاعل كفى الَّتِي بِمَعْنى أَجْزَأَ وأغنى، وَلَا الَّتِي بِمَعْنى وقى، وَالْأولَى متعدية لوَاحِد كَقَوْلِه:(قَلِيل مِنْك يَكْفِينِي وَلَكِن ... قليلك لَا يُقَال لَهُ قَلِيل)، وَالثَّانِية متعدية لاثْنَيْنِ كَقَوْلِه تَعَالَى {وَكفى الله الْمُؤمنِينَ الْقِتَال}

(٤) المرجع السابق ذاته.

(٥) ينظر: تفسير الطبري المسمى: جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام محمد بن جرير، أبي جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ) ، ٧/ ٥٧٤، تح/ أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

(٦) اشتقاق أسماء الله للزجاجي(ت٣٤٠ه)ص١٢٩، تح/ د.عبد المحسن المبارك، مؤسسة الرسالة، ط.د.ت.

ويرى الخطابي(ت٣٨٨هـ) أن الحسيب هو المكافئ، والمحاسب[١].

و ذكر البغوي(ت٥١٦ هـ) للحسيب ثلاثة معان، هي(المحاسب والمجازي والشاهد) .[٢]

و للزمخشري(ت٥٣٨هـ) قولان لا يخرجان عما سبق : أن يكون بمعنى (كافٍ) في الشهادة عليكم بالدفع والقبض، أو بمعنى (محاسب)[٣] .

وفسره القرطبي(٦٧١هـ)بأنه "فعيل" بمعنى فاعل، أي : حاسبا لأعمالكم من الحساب، ومجازيا بها[٤].

و بعد أن أفاض السمين الحلبي(٧٥٦هـ) في نوع(كفى)، وفاعلها، والخلاف في زيادة الباء في(بالله)[٥]، قال في إعراب(حسيبا) : " فيه وجهان، أصحُّهما : أنه تمييزٌ يَدُلُّ على ذلك صلاحيةُ دخولِ «مِنْ»عليه، و هي علامةُ التمييز، والثاني : أنه حال و«كفى» هنا متعديةٌ لواحدٍ، وهو محذوفٌ تقديرُه : وكفاكم اللهُ "[٦].

دلالة التمييز : مما سبق يتبين لنا أن (الحسيب) بمعنى الكافي، فعيل بمعنى مُفْعِل، من "أَحْسَبَ" : فهو يكفي عبده في جميع أحواله وأشغاله، أو بمعنى المحاسب، من"حاسب"، كما مال القرطبي إلى أنه فاعل، من الحساب، وسائر الأقوال ترجع إلى ذينِك المعنيين[الكافي والمحاسب]، كالشاهد، والمجازي.

فمن فسر(حسيبا)-هنا-بالمحاسب، فقد راعى محاسبة الأولياء لحقوق اليتامى، فليحذروا الظلم؛فإن الله محاسبهم يوم القيامة.

---

(١) ينظر:شأن الدعاء، لأبي سليمان حمد بن محمد البستي المعروف بالخطابي، ص:١٢٩، الناشر:دار الثقافة العربية، ط/ ١، ١٤٠٤ه/ ١٩٨٤م.

(٢) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، لأَبي مُحَمَّدٍ الْحُسَيْن بْن مَسْعُودٍ بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٠هـ)١/ ٥٦٧، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)١/ ٤٧٦، ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط/ الثالثة – ١٤٠٧ هـ

(٤) تفسير القرطبي(الجامع لأحكام القرآن)، لأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّد بْن أَحْمَدَ بْنِ أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، ٥/ ٤٥، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط/ الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م

(٥) ينظر:الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف ، المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)٣/ ٥٨٧، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق، ط.د.ت.

(٦) ينظر:المرجع السابق ذاته..

ومن فسره بالحاسب فقد راعى الحساب والعَدّ المفهومَين من دفع الأموال، كقوله تعالى : (أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)(المجادلة/ ٦)، وقوله : (لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا)(مريم/ ٩٤).

ومن فسره بالشاهد راعى قوله : (وأشهدوا عليهم)، فهو تهديد ووعيد للأولياء والشهود.

٢-وتظهر فائدة إعراب (حسيبا) تمييزا في استحضار اسمه(الحسيب) والتركيز عليه، وبيان الجهة المحاسبة، قبل الحساب ذاته، أو مراعاة حالته، وذلك مأخوذ من عدة أمور :

(أ)الأصل في التمييز أن يكون جامدا، وقد يأتي مشتقا، وهذا منه، أو يقال : قد يكون-في الحقيقة- صفة لجامد محذوف هو التمييز، فلما حذف نابت صفته عنه، كقولنا : لله درك عالمـًا أو خطيبـًا، ولله دره متحدثـًا أو كاتبـًا، وأصل الكلام : لله درك رجلاً عالمـًا، أو لله دره رجلاً متحدثـًا .

ويكون التقدير : كفى بالله إلها محاسبا أو كافيا أو شاهدا، ولا يخلو من تكلف، والرأي الأول أولى؛ فمالا يحتاج إلى تأويل أولى مما يحتاج إلى تأويل، وقد جاء التمييز مشتقا في نحو : لله دره فارسا ، فالاسم المنصوب إذا دلّ على ذات أُعرب تمييزاً – وإن كان مشتقـًا، وإذا دلّ على هيئة أُعرب حالاً – وإن كان جامداً؛ وذلك أن التّمييز قد يأتي مشتقـًا فيكون المراد به الذّات الموصوفة لا الوصف المرتبط بها؛ لأن المشتقّ – كما هو معلوم – يدلّ على ذات مرتبطة بوصف معيّن كالفاعليّة أو المفعوليّة أو غير ذلك.

(ب)التمييز يكون بمعنى "من"أي : كفى بالله من حسيب يكفيكم ويحاسبكم.

(ج) ثبوت صفة (الكفاية) لله تعالى ، ومدحه بها مطلقا، على التمييز، بخلاف الحال الذي يتطلب وصفه بها حال كونه(سبحانه) محاسِبا .

(د) تعدي الفعل (كفى)- هنا- إذا أعربنا(حسيبا)حالا ، أي : كفاكم، وفيه ذكر للمكفيّ(المخلوق) مع الكافي(الخالق)، وهذا حسن، وإن كان غيره أحسن منه.

(ه) لزوم(كفى) إذا أعربنا(حسيبا)تمييزا، وفي ذلك إشارة إلى ما سبق من التركيز على اسم الله- تعالى- وصفتِه(الحسيب)، واستحضارِه، وعدمِ الالتفات إلى حظ النفس حالَ العمل، فالأولى لأولياء اليتامى-عند الإشهاد-ألا يراعوا حظوظ أنفسهم، حتى ما تعلق منها بالأجر والثواب، فضلا عما تعلق منها بالدنيا، وأن ينظروا ببصائرهم إلى مَن نَظرُه يسبق نظرَهم، وإحسانُه يسبق إحسانَهم، (فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا).

الموضع الثاني : و هونظير السابق، قوله تعالى : (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ وَكَفَىٰ بِاللهِ حَسِيبًا) (الأحزاب/ ٣٩).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن قصة زواج النبي- ﷺ-من زينب بنت جحش، بعد طلاقها من زيد بن حارثة، وكان يُدعى زيدَ بنَ محمد ؛لأنه كان يتبناه، وقد كان يحرم في الجاهلية أن يتزوج الرجل امرأة ابنه المتبنَى، بعد طلاقها ، فأراد الله أن يُبطل هذه العادة الجاهلية، فخلق لها الأسباب، وزلل في طريقها الصعاب، وأعلم نبيه بذلك، وقد كان زيد يأتي الرسول -ﷺ -فيشكو له زينب، وأنها تترفع عليه، وكلما أتاه شاكيا قال له : (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ) فعاتبه ربه بقوله : (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ)، ثم رفع الله عنه الحرج في ذلك صراحة، وبين أنه رسوله و مصطفاه، وليس عليه إلا البلاغ ، فلا ينبغي أن يخشى أحدا إلا الله ، ولا يستحي من الحق، ثم ختم الآية بالفاصلة المميزة، (وَكَفَىٰ بِاللهِ حَسِيبًا).

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

فقوله : (حسيبا) تمييز أو حال، وقد نص عليه بعض العلماء[١]، وما ذكر في اختلاف المعربين هناك ينطبق على تذييل الآية الكريمة هنا، والمعنى : وكفاك يا محمد بالله حافظًا لأعمال خلقه ومحاسبًا عليهم[٢]، فامض لما أمرك الله ولا تلتفت إلى أحد.

ومن دلالات التمييز في هذا الموضع أن إعراب (حسيبا) تمييزا يشير إلى عدم الالتفات إلى أحد غير الله ما دام المُبَلِّغ لرسالات الله يخشاه، ولا يخشى أحدًا سواه، وفيه إيماء إلى قضية زواج النبي – صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش-رضي الله عنها-بعد طلاقها من زيد؛ليبطل الله ما كان شائعا في الجاهلية من تحريم زوجة الابن المتبنى على أبيه، وتطبيق التشريع على النبي-صلى الله عليه وسلم-وتنفيذ النبي له يعد تبليغا عمليا لرسالات الله دون أن يخشى أحدا سوى الله.

وهذا مستفاد من الآتي :

(أ)كون "حسيبًا"مفسِّرا للإبهام الكائن في جملة(وكفى بالله)، فلو لم يأتِ ما فهم المراد، ولكان ثمةَ إبهامُ؛فلم يدرِ المتلقي : أكفى بالله هاديا(لمناسبة التبليغ) أم ربًّا، أم ماذا؟

(ب) ثبوت اتصاف الله تعالى بكونه كافيًا لعبده مطلقا، لا حال كونه حسيبا فحسب.

(ج) لزوم الفعل "كفى"، وعدم احتياجه إلى مفعول يشير إشارة لطيفة إلى مرتبة الإحسان(أن تعبد الله كأنك تراه) دون الالتفات إلى أحد من الخلق.

---

(١) ينظر:المجتبى من مشكل إعراب القرآن، للدكتور أحمد الخراط، ١/ ١٦٤، لناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورةعام : ١٤٢٦هـ ، وإعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش(ت ١٤٠٣هـ)، ٢/ ١٦١، الناشر : دار الإرشاد للشؤون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، ط/ الرابعة ، ١٤١٥ .

(٢) تفسير الطبري٢٠، / ٢٧٨.

كما أن إعراب (حسيبا) حالا ليفيد تعدي الفعل "كفى"، أي : كفاك الله محاسبا، والخطاب للنبي -صلى الله عليه وسلم- أو لكل مبلِّغ [بكسر اللام وفتحها].

كما يفيد خصوصية عناية الله بنبيه-صلى الله عليه وسلم-ففيه معنى التقوية له، والدفاع عنه، والانتصار له، فكفاية الله له نوع من التطمين والتأمين.

الموضع الثالث : قوله تعالى : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ)(الأنبياء/ ٤٧).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

بعد ست وأربعين آية من سورة الأنبياء وقعت هذه الآية الكريمة، فقد أشار مطلع السورة إلى اقتراب الحساب، وغفلة الناس وإعراضهم، واختلاف الظالمين في القرآن الذي أنزل على سيدنا محمد-ﷺ ، ثم الإشارة إلى ما حل بالمكذبين قبلهم من العذاب، و الحديث عن سنة الله تعالى في إرسال الرسل، ثم مخاطبة رسوله -ﷺ- بأن لا خلود لأحد قبله ولا بعده، أَفَإِن مِّتَّ-كما يتمنون- فَهُمُ الْخَالِدُونَ؟!، ثم تعداد بعض جرائم الكافرين في حقه-ﷺ-من الاستهزاء والسخرية، وفي حق الله تعالى من الكفر به، وإنكار البعث، و توعدهم بالعذاب، ثم مواساة نبيه-ﷺ- بما حدث مع الأنبياء قبله من استهزاء أقوامهم بهم، وما حل بهم من عذاب، وتوعد من فعل ذلك مع الرسول-ﷺ-، ثم تذكيرهم ببعض نعم الله عليهم، من الحفظ بالليل والنهار، وأنه لا يملك ذلك أحد سواه، و أمر رسوله-ﷺ-أن يخبرهم بأن هذا الإنذار وحي من الله، وأنى للأصم أن يسمع؟، وأخبر رسوله-ﷺ- بأنهم سيعلمون هذه النعم بعد فوات الأوان، وسيعترفون-عندئذ-بظلمهم، وذلك حين يمسهم نصيب من العذاب.ثم وردت هذه الآية الكريمة التي معنا، وفيها إخبار بحكمه العدل، الذي لا يُظلم فيه أحد، كائنًا من كان، في أي أمرٍ كان، وكفى به سبحانه عالمًا بعباده، وحافظًا لأعمالهم.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

قوله : (وكفى بنا حاسبين) أي : وحسب من شهد ذلك الموقف بنا حاسبين؛لأنه لا أحد أعلم بأعمالهم وما سلف من صالح أو سيئ منا.[1].

وفي نصبه وجهان : الأول : على التمييز لجملة(وكفى بنا)، والآخر : على الحال من ضمير المتكلم الجمع، ودخلت الباء في (وكفى بنا)؛لأنه خبر في معنى الأمر، والمعنى اكتفوا بالله حسيبا[2]، أو هو خبر لفظا ومعنى "أي : كفينا الناس"[1].

---

(١) ينظر:تفسير الطبري١٨/ ٤٥٢، بتصرف.

(٢) ينظر:معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبي إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، ٢/ ٥٧، تح/ عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ط/ ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

وفائدة التمييز هنا تَأْمِينٌ لِلنَّاسِ مِنْ أَنْ يُجَازَى أَحَدٌ مِنْهُمْ بِمَا لَا يَسْتَحِقُّهُ، وَفِي ذَلِكَ تَحْذِيرٌ مِنَ الْعَذَابِ وَتَرْغِيبٌ فِي الثَّوَابِ[٢]، وهذا المعنى كائن في إعراب (حاسبين)حالًا كذلك، غير أن تطمين الناس هنا أحسن لهم؛ليستدرك أمرَه مَن كان منهم عاصيا، ويستكثر مِن الخير مَن كان طائعا، وهذا ما أفاده التمييز.

المطلب الثاني : قوله تعالى : (وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللهِ نَصِيرًا)(النساء/ ٤٥).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت هذه الآية الكريمة في معرض ذم فريق من أحبار اليهود، أوتوا نصيبا من التوراة، ولكنهم يحبون الضلال على الهدى، و االكفر على الإيمان، فلتحذروا كيدهم، فإنهم يحرصون على إضلالكم، ولكن الله يتولى الدفاع عن أوليائه، وكفى بالله وليا، إن أرادوا إضلالكم، وكفى بالله نصيرا، إن عادوكم.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

فقوله (وليًا ونصيراً) منصوبان على التمييز، وقيل على الحال، والتمييز أجود لجواز دخول من[٣].

ومعنى الباء التوكيد، إلا أنَّ الباء دخلت في اسم الفاعل؛لأنّ المعنى اكتفوا بالله"[٤]، وقيل زائدة[٥].

وكرر العامل(كفى)؛لأن "التكرار في مثل هذا المقام يكون أشد تأثيراً في القلب ومبالغة"[٦].

فالولي للمرء هو المحب والصديق، وهو ضد العدو، والله ولي المؤمن يهيئ له سبيل الخير ويسدده. والشيطان ولي الكافر، يُري الكافر أنه نافعه ومحبُه بما يزين له في سبل الغواية، والكافر ولي الشيطان يطيعه طاعة المحب لحبيبه[٧].

والولي في اللغة تدل على اللزوم والاحتواء، ومنه قوله تعالى : (الله ولي الذين ءامنوا)(البقرة/ ٢٥٧)[١].

---

(١) ينظر:التحرير والتنوير=«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»ـ لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، ١٧/ ٨٧، الناشر: الدار التونسية للنشر– تونس: ١٩٨٤ هـ.

(٢) المرجع السابق ذاته.

(٣)البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان٣/ ٦٥٩.

(٤) ينظر:معاني القرآن وإعرابه للزجاج٢/ ٥٧.

(٥) ينظر:المرجع السابق ذاته، والبحر المحيط٣/ ٦٥٩.

(٦) تفسير الرازي= مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ) ١٠/ ٩٢.، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: ٣ – ١٤٢٠ هـ

(٧) ينظر: مخطوطة الجمل–معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، لحسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، ٦/ ٢٨٣، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ – ٢٠٠٨.

ولهذا المعنى كان أولى بالتقديم على النصر في قوله : (وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا)، فولاية الله للمؤمنين سابقة لنصرتهم؛إذ هي ملازمة لهم في جميع الأحوال، فلم تنفك عنهم، وإن تبدلت أحوالهم في هذه الحياة جريا على سننها، من فقر وغنى، ومرض وعافية، وضعف وقوة، و هكذا.

ومن دلالات التمييز هنا تطمين المسلمين إلى ولاية الله لهم، ونصرتهم، ولا سيما وقد بدت البغضاء من أفواه أعدائهم، وأعلنوا لهم عداوتهم.

المطلب الثالث : قوله تعالى : (وكفى بالله شهيدا)ونظائره، ودلالاته.

الموضع الأول : قوله تعالى : (مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا)(النساء/ ٧٩).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن القتال في سبيل الله – بعد ثلاث عشرة آية من أول قوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ) الآية/ ٦٦، إلى قوله تعالى : (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ)، وقد وصلت بما قبلها في المعنى، في قوله : (وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللهِ)، حيث نَسب المنافقون النصر والظفر إلى الله تعالى، ونسبوا الهزيمة إليه –ﷺ–وزعموا أنه أساء التدبير، فجاءت الآية إعلاما بأن مقاليد الأمور كلها بيد الله تعالى، فلينظر المرء–إن أصابته ضراء–في ما قدمت يداه، ولا يلومن إلا نفسه.

التمييز وربط دلالته بالمعنى : في قوله تعالى : (وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا)، (شَهِيدًا) منصوب على التمييز؛لأَنَكَ إِذا قلت كفى الله ولم تبين في أي شيء الكفاية كنت مُبْهِماً"[٢].

وإليه ذهب جمع من العلماء[٣]، وهو الراجح، وذهب آخرون إلى جواز كونه حالا[٤]

أي : "وكفى بالله" عليك وعليهم "شهيدًا"، يقول : حسبك الله تعالى ذكره، شاهدًا عليك في بلاغك ما أمرتك ببلاغه من رسالته ووحيه، وعلى من أرسلت إليه في قبولهم منك ما أرسلت به إليهم"[٥].

---

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، لأستاذنا الدكتور/ محمد حسن جبل، (ولي)٤/ ١٩٣٩، مكتبة الآداب، القاهرة، ط/ ١، ٢٠١٠م.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج٢/ ٨٠.

(٣) ينظر:إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس١/ ٢٢٧، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١، ١٤٢١ ه ، وتفسير القرطبي٥/ ٢٨٧، وإعراب الدعاس١/ ٢١٠.

(٤) ينظر:الجدول في إعراب القرآن الكريم، المؤلف: محمود بن عبد الرحيم صافي (ت: ١٣٧٦هـ)، ٥/ ١٠٥، الناشر: دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: ط/ ١٤١٨ هـ/ ، وإعراب القرآن وبيانه ٢/ ٢٧١.

(٥) تفسير الطبري٨/ ٥٦١.

ومن دلالات التمييز زيادة التأكيد على الاكتفاء بشهادة الله تعالى في تبليغ رسالة النبي-صلى الله عليه وسلم-، وصدقه في دعوته، وهي إشارة إلى مكانته العظيمة عند ربه، وعناية الله به ورعايته.

الموضع التاسع وهو نظير السابق في قوله تعالى : (لَّكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا)(النساء/ ١٦٦).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت الآية الكريمة في معرض الحديث عن إرسال الله الرسل، مبشرين ومنذرين، وإقامة الحجة على الناس، فإن كذب فريق منهم فحسبك شهادة الله لك، وكفى بالله شهيدا.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

وقوله (شهيداً) منصوب على التمييز، وقيل : على الحال. والتمييز أقوى وابلغ لقبوله دخول حرف الجر (من) عليه.

أي : " وكفى الله شهيداً، والباءُ دخلت مَؤكدة، المعنى اكتفوا بالله في شهادته"[١]، وهو خطاب للنبي (صلى الله عليه وسلم)، وأنَّ ما وعَدَهُ كائن من إظهار الدين والغلبة[٢].

فـ(شهيداُ) على وزن (فعيل) وفيه مبالغة بالاكتفاء بالله – تعالى – وحده دون غيره.

ونلحظ في هذه الآية الكريمة تكرار مادة(ش ه د)؛و ذلك لاختلاف سياقها عن الآية السابقة؛حيث إن السياق هنا" بَيَانِ تَعَنُّتِهِمْ وَمُكَابَرَتِهِمْ عَنْ أَنْ يَشْهَدُوا بِصِدْقِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِحَّةِ نِسْبَةِ الْقُرْآنِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَكَانَ هَذَا الْمَعْنَى يَسْتَلْزِمُ أَنَّهُمْ يَأْبَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ بِصِدْقِ الرَّسُولِ، وَأَنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ الِاسْتِدْرَاكُ بِقَوْلِهِ : لكِنِ اللهُ يَشْهَدُ. فَإِنَّ الِاسْتِدْرَاكَ تَعْقِيبُ الْكَلَامِ بِرَفْعِ مَا يُتَوَهَّمُ ثُبُوتُهُ أَوْ نَفْيُهُ. وَالْمَعْنَى : لَمْ يَشْهَدْ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكِنَّ اللهَ شَهِدَ وَشَهَادَةُ اللهِ خَيْرٌ مِنْ شَهَادَتِهِمْ"[٣].

ومن دلالات التمييز هنا تأكيد ما سيقت إليه الآية الكريمة من "تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عن تكذيب كثير من الناس له، وإدخال الطمأنينة على قلبه"[٤].

الموضع العاشر-وهو نظير السابق- في قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا)(الفتح/ ٢٨).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج٢/ ١٣٤.

(٢) ينظر:البحر المحيط ٣/ ٣٩٩.

(٣) التحرير والتنوير٦/ ٤٤.

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم لطنطاوي٣/ ٣٩٥.، للشيخ محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط/ ١، ١٩٩٧م.

وقعت الآية الكريمة في سياق الحديث عن تحقيق الله وعدَه لنبيه ﷺ بدخول مكة بعد صلح الحديبية، وبيان الحكمة من تأخيره عام الحديبية، وإنزال السكينة على رسوله وعلى المؤمنين، ثم بيان كفاية الله تعالى له، إذ أنه هو الذي أرسله، فهو ناصره ومظهرٌ دينَه على الدين كلِّه.

التمييز وربطه بالمعنى :

فقوله : (شهيدا)تمييز[١]، وهو الراجح، وقيل : حال[٢].

قال الإمام الرازي : "وَكَفى بِاللهِ شَهِيداً أَيْ فِي أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ"[٣]"

أي : "كفى بشهادة الله- تعالى- شهادة على حقية هذا الدين، وعلى هذا الإظهار الذي تكفل الله- تعالى- به لدين الإسلام"[٤].

ومن دلالات التمييز هنا ما يأتي :

١-شهادة الله تعالى أعظم شهادة، وهي في إرسال رسوله آكد.

٢-الرد على من استنكفوا عن كتابة "محمد رسول الله" من كفار مكة في صلح الحديبة.

٣-تسلية قلب النبي- صلى الله عليه وسلم.

المطلب الرابع : قوله تعالى : (وَكَفى بِاللهِ وَكِيلًا)ونظائره، ودلالاته :

الموضع الأول : قوله تعالى : (وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلًا)(النساء/ ٨١).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

في سياق الحديث عن القتال في سبيل الله، والحض على طاعة الرسول، وجعلها بمنزلة طاعة الله تعالى، وقعت هذه الآية الكريمة، وفيها ادعاء طاعة الله ورسوله لدى فريق من المنافقين الذين يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية، ثم إذا ما خلوا إلى شياطينهم من اليهود أو الكفار بيتوا الخيانة ، فأعرض عنهم يارسول الله-وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

فقوله : (وكيلا) تمييز، أي : "ثق به، (وَكَفى بِاللهِ وَكِيلًا)أي : ناصرا لك على عدوك وموثوقا به"[٥].

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، ٩/ ٢٥٤.

(٢)الجدول٢٦ / ٢٦٩.

(٣)تفسير الرازي٢٨/ ٨٨.

(٤) التفسير الوسيط لطنطاوي١٣/ ٢٨٦.

(٥) إعراب القرآن للنحاس١/ ٢٢٧.

ومن دلالات التمييز هنا إظهار عناية الله تعالى بالنبي –صلى الله عليه وسلم–وتَصَدِّيه للدفاع عنه، تجاه ما يمكر به أعداؤه من المنافقين وغيرهم، أي : " فلا تكثرت بهم، ولا تلتفت إليهم، وسر في طريقك متوكلا على الله، ومعتمدا على رعايته وحفظه، وكفى بالله وكيلا وكفيلا لمن توكل عليه، واتبع أمره ونهيه. فأنت ترى أن الآية الكريمة قد كشفت عن جانب من صفات المنافقين وأحوالهم، ثم هددتهم على جرائمهم، ورسمت للنبي صلى الله عليه وسلم الخطة الحكيمة لعلاجهم واتقاء شرهم "[١].

الموضع الثاني و هو نظير السابق في السورة ذاتها، في قوله تعالى : (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلًا)(النساء/ ١٣٢).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت هذه الآية الكريمة، في سياق الحديث المكرر(والمقرر)عن حقوق يتامى النساء، وبيان بعض أحكام المرأة، من خلاف مع زوجها، والحض على الإصلاح بينهما، والأمر بالتقوى والإحسان، ووصية الله للأولين والآخرين بالتقوى، وأن لله ما في السماوات وما في الأرض، فإن آمنتم فلكم وإن كفرتم فعليكم، ولن تضروا الله شيئا، و كفى بالله وكيلا، فاتخذوه وكيلا، و لاتتوكلوا على أحد سواه.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

فقوله : (وكيلا)تمييز[٢]، وهو الراجح، وقيل حال[٣].

أي : لله ملك جميع ما حوته السموات والأرض، وهو القيِّم به كله، والحافظ لذلك كله، لا يعزب عنه علم شيء منه، ولا يؤوده حفظه وتدبيره[٤].

"والوكيل هو القيم والكفيل بالأمر الذي يوكل إليه، وقد ذكر- سبحانه- في هاتين الآيتين ملكيته لما في السموات وما في الأرض ثلاث مرات؛تأكيدا لعظم سلطانه وقدرته وسعة غناه ورحمته، حتى ترسخ في نفوس الناس تقواه وخشيته"[٥]، فلا يتوكلوا على أحد غيره، وفيه من المعاني المسكوت عنها ما فيه، كتسلية النبيﷺ، ومواساته في عدم إيمان بعضهم، و كمواساة المرأة التى فارقها(قيمها)، أو التى فشل موكلها في الصلح، وغير ذلك.

ومن دلالات التمييز هنا ما يأتي :

١-تفسير كفاية الله تعالى للسماوات والأرض وما فيهما بقيوميته، وتدبيره لجميع شؤون خلقه.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي٣/ ٢٣٤.

(٢) ينظر:إعراب القرآن وبيانه ، ٢/ ٣٤٥.

(٣) الجدول٥/ ١٩٧.

(٤)ينظر: تفسير الطبري٩/ ٢٩٧، بتصرف يسير.

(٥)التفسير الوسيط لطنطاوي ٣/ ٣٣٨.

٢-بيان الحجة الدامغة في ربوبيته، و ألوهيته سبحانه وتعالى، وذلك بتفرده بالخلق والتدبير(أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)(الأعراف/ ٥٤).

٣-التعريض بمن أشرك مع الله إلها آخر، أو اتخذ من دونه أولياء؛فلم يجرؤ أيُّ منهم أن يدَّعي ملك السماوات والأرض وتدبير شؤونهما.

الموضع الثالث وهو نظير السابق في قوله تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلًا)(النساء/ ١٧١).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت الآية الكريمة في سياق الحديث عن أهل الكتاب، وما اقترفوه من نقض الميثاق، والكفر بآيات الله، وقولهم على مريم بهتانا عظيما، وادعائهم أنهم قتلوا المسيح عيسى بن مريم، وغير ذلك، ثم الحديث عن موقف الراسخين في العلم من الإيمان بالله ورسله وما أنزل إليهم، ثم خاطب الله أهل الكتاب في الآية الكريمة، ونهاهم عن المغالاة في الدين، والكذب على الله تعالى، وحذرهم من عاقبة كفرهم، وبين وحدانيته سبحانه، وأنه غني عن الولد، لأنه مالك لما في السماوات وما في الأرض، وكفى بالله وكيلا.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

فقوله : (وكيلا) تمييز، وهو الراجح، وقيل : حال، "ومعنى وكيل : كافٍ لأوليائه"[١]، أى : وكفى بالله وكيلا يكل إليه الخلق كلهم أمورهم، فهو الغنى عنهم وهم الفقراء إليه، "فتوكلوا عليه وحده، ولا تتوكلوا على من تزعمونه ابنا له"[٢]، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا.

ومن دلالة التمييز هنا بيان سعة قدرته- سبحانه وهيمنته على هذا الكون. والوكيل : هو الحافظ والمدبر لأمر غيره.

الموضع الرابع : نظير السابق : في قوله تعالى : (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلًا) (الأحزاب/ ٣).

فقوله : (وكيلا) تمييز، وهو الراجح، وقيل : حال[٣].

المعنى السياقي للآية الكريمة :

---

(١) إعراب النحاس١/ ٢٥٣.

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي٣/ ٤٠٤.

(٣) إعراب النحاس٣/ ٢٠٦.

بعد آيتين من مطلع سورة الأحزاب وقعت هذه الآية الكريمة، حيث أمر الله نبيه ﷺ بالثبات على ماهو عليه من التقوى، وطلب الزيادة منها، وعدم الالتفات إلى الكافرين والمنافقين، وعليه باتباع الوحي في كل شيء، والتوكل على الله والثقة به فهو كافيه وحافظه.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

فقوله : (وكيلا) تمييز، أي : " وحسبك بالله فيما يأمرك وكيلا وحفيظا بك"[١]، وربطه بما قبله من الأمر بالتقوى، واتباع الوحي، وعدم طاعة الكافرين والمنافقين، واضح جلي؛إذ أن ربك هو الموفق والمعين

ومن دلالة التمييز إعانة النبي- صلى الله عليه وسلم-على تنفيذ أمر الله، وتثبيت فؤاده؛إذ لا أكفى منه لمن وكله في أمره، فلا تلتفت في أمرك إلى شيء؛لأنه ليس لك قلبان تصرف كلاً منهما إلى واحد[٢].

الموضع الخامس و هو نظير السابق في قوله تعالى : (وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلًا)(الأحزاب/ ٤٨).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت الآية الكريمة في سياق خطاب النبيﷺ ، و أمره بتبليغ رسالات الله، وعدم طاعة أحد فيما يشيرون به من مداهنة في الدين، وبيان مكانة النبيﷺ وعمله في الدعوة إلى الله تعالى شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، و نهيه عن طاعة الكافرين والمنافقين، و ترك أذاهم، فإن الله كافيه وحافظه وكالئه.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

فقوله : (وكيلا) تمييز، أي : "وحسبك بالله قيما بأمورك، وحافظا لك وكالئا"[٣]، "تَذْيِيلٌ لِجُمْلَةِ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ، وَالْمَعْنَى : فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْوَكِيلُ الْكَافِي فِي الْوِكَالَةِ، أَي الْمُجْزِي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ مَا وَكَّلَهُ عَلَيْهِ فَالْبَاءُ تَأْكِيدٌ، ..."[٤]

وللزمخشري-رحمه الله- تعبير لطيف في فائدة التذييل هنا إذ يقول : " وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ لأنّ من توكل على الله يسر عليه كل عسير، والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا، لأن من أناره الله برهانا على جميع خلقه، كان جديرا بأن يكتفى به عن جميع خلقه."[٥].

---

(١) تفسير الطبري:٢٠/ ٢٠٤.

(٢) ينظر:نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، ١٥/ ٢٨٣.

(٣) تفسير الطبري٢٠/ ٢٨٢.

(٤)التحرير والتنوير٢٢/ ٥٩.

(٥) الكشاف٣/ ٥٤٨.

دلالة التمييز هنا : زيادة التأكيد في تحقيق معنى الفاعل، فمن اكتفى به أنار له جميع أمره[١].

المطلب الخامس : قوله تعالى : (وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا)، ونظيره، ودلالاته.

الموضع الأول : قوله تعالى : (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا)(الإسراء/ ١٧).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت الآية الكريمة، في سياق الحديث عن إهلاك الأمم السابقة، بسبب ضلالهم، وتكذيبهم الرسل، وكثرة الفسوق والعصيان، وهي أمم كثيرة لا يعلمها سوى الله، فلا تكترث بتكذيب قومك يارسول الله فإن الله كافيك ، وحسبك أنه مطلع على جميع ذنوب عباده المرئية والمسموعة.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

"«خَبِيراً بَصِيراً» كل منهما تمييز لكفى"[٢]، وقيل : حال[٣]، وهذا وعيد من الله تعالى لمكذّبي رسوله محمد- صلى الله عليه وسلم- من مشركي قريش، وتهديد لهم بالعقاب[٤].

أي : وحسبك يا محمد بالله خبيرا بذنوب خلقه عالما، بصيرا بأفعال مشركي قومك وغيرهم من خلقه. ومن دلالات التمييز هنا ما يأتي :

١-غنى النبي- صلى الله عليه وسلم-عمن يدافع عنه؛لأن الله حسبه وكافيه؛وهذا مستنبط من خطاب النبي- صلى الله عليه وسلم- في قوله(بربك) بعد تهديد الكافرين ووعيدهم، ثم مجيء التمييز خاصا بصفتي(الخبير والبصير). ٢-فيه تسلية للنبي –صلى الله عليه وسلم-عن أذى هؤلاء المكذبين له، فالخبير البصير سبحانه وتعالى مطلع على خبايا أعمالهم، يراك ويراهم، (فلا تبتئس بما كانوا يفعلون).

٣-صرف للنبي –صلى الله عليه وسلم-عن التوجع لهؤلاء المعاندين، كقوله(فلا تأس على القوم الكافرين).

٤-تطمين النبي –صلى الله عليه وسلم-على صدق دعوته، وما يقابله به أعداؤه من تكذيب وتعذيب.

٥-اطلاع الله تعالى على ذنوب هؤلاء المكذبين، وتوعدهم بمجازاتهم على جميع أعمالهم.

٦-تحري جميع أعمالهم المكنونة في صدورهم والمرئية المعلنة.

٧-فيه تعريض بالوعيد الشديد لسامعيه من الكفار، ولمن على شاكلتهم إلى يوم القيامة.

---

(١) ينظر:نظم الدرر١٥/ ٣٧٥، بتصرف.

(٢) إعراب القرآن للدعاس٢/ ١٨٦.

(٣) الجدول٢٢/ ١٧٢.

(٤) ينظر: تفسير الطبري١٧/ ٤٠٧.

الموضع الثاني : وهو نظير السابق قوله تعالى : (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا)(الفرقان/ ٥٨).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

التركيز-هنا-على الخبرة المطلقة لله تعالى، دون إتباعها بصفة البصر كما جاء في آية الإسراء، في قوله تعالى : (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا)(الإسراء/ ١٧)-ليدل دلالة قاطعة على اكتفاء السياق بها، وأهميتها في إبراز المعنى المراد من السباق واللحاق.

ولما كان السياق للشكاية من إعراض المبلَّغين عن القرآن، وما يتبع ذلك من الأذى، أشار إلى أنه يعلم دقائق الأمور، ولا يخفى عليه شيء منها، وأن الأصل في هذه الذنوب فساد العقيدة والنية، و مرد علم ذلك كله إلى الخبير وحده، كما أن حقيقة التوكل" الِاعْتِمَادُ، ... وَهُوَ شَأْنُ أَهْلِ الْإِيمَانِ، فَالتَّوَكُّلُ انْفِعَالٌ قَلْبِيٌّ عَقْلِيٌّ يَتَوَجَّهُ بِهِ الْفَاعِلُ إِلَى اللهِ رَاجِيًا الْإِعَانَةَ وَمُسْتَعِيذًا مِنَ الْخَيْبَةِ وَالْعَوَائِقِ"[١].

بخلاف آية الإسراء بِوَصْفَيْ خَبِيراً بَصِيراً الْمُكَنَّى بِذِكْرِهِمَا عَنْ عَدَمِ إِفْلَاتِ شَيْءٍ مِنْ ذُنُوبِهِمُ الْمَرْئِيَّةِ وَالْمَعْلُومَةِ مِنْ ضَمَائِرِهِمْ أَعْنِي أَعْمَالَهُمْ وَنَوَايَاهُمْ.

وَقَدَّمَ مَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِالضَّمَائِرِ وَالنَّوَايَا لِأَنَّ الْعَقَائِدَ أَصْلُ الْأَعْمَالِ فِي الْفَسَادِ وَالصَّلَاحِ.

أضف إلى ذلك أن آية الإسراء جاء فيها لفظ(ربك) وفيه إشارتان :

الأولى : مناسبة اسم الرب لمقام الإنعام والتفضل والدفاع عمن أرسله-صلى الله عليه وسلم-فهو وليه و ناصره، كما أنه مناسب لما كان فيه السابقون من نعم و آلاء وقوة فاقت ما عليه أهل مكة.

الثانية : إضافة اسم الرب إلى ضمير المخاطب، تشريف للنبي –صلى الله عليه وسلم، وتطمين له.

كما أن شدة عتو السابقين، وكثرة جرائمهم تستلزم تنوع العذاب بهم بين مرئي، وغير مرئي.

ومهما يكن من طغيان فلن يصلوا إلى ما وصل إليه قوم نوح ومن بعدهم؛فإن سياق آيات سورة الإسراء يفتقر إلى ذكر الوصفين معا، وذلك ظاهر من مطلعها إلى منتهاها لمن له أدنى تأمل.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

أي : كفاك الله، فحذف المفعول، والباء زائدة، وخبيرا منصوب على التمييز أو الحال[٢].

" وَهَذِهِ كَلِمَةٌ يُرَادُ بِهَا الْمُبَالَغَةُ يُقَالُ : كَفَى بِالْعِلْمِ جَمَالًا، وَكَفَى بِالْأَدَبِ مَالًا وَهُوَ بِمَعْنَى حَسْبُكَ، أَيْ : لَا تَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى غَيْرِهِ لِأَنَّهُ خَبِيرٌ بِأَحْوَالِهِمْ قَادِرٌ عَلَى مُكَافَأَتِهِمْ."[٣].

---

(١)ينظر المرجع السابق ٤/ ١٥١باختصار.

(٢) البيان٢/ ٢٠٦، وينظر:إعراب القرآن وبيانه٧/ ٣٣..

(٣) تفسير الرازي٢٤/ ٤٧٧.

والتمييز هنا يدل على الوَعِيدِّ الشَدِيدِّ، كَأَنَّهُ قَالَ إِنْ أَقْدَمْتُمْ عَلَى مُخَالَفَةِ أَمْرِهِ كَفَاكُمْ عِلْمُهُ فِي مُجَازَاتِكُمْ بما تستحقون من العقوبة

المطلب السادس : قوله تعالى : (إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا)طه٩٨.

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت هذه الآية الكريمة خاتمة لقصة موسى والسامري، إذ بينت بطريق القصر وحدانية الله تعالى، الذي أحاط بكل شيء علما.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

(علما) تمييز محوّل من فاعل، منصوب[١]، أي : أحاط بكل شيء علما، فلا يخفى عليه منه شيء ولا يضيق عليه علم جميع ذلك[٢].

ومن دلالات التمييز هنا الإشارة إلى صدق النبي ﷺ ، حيث إنه أخبرهم بدقائق قصة موسى والسامري، عن طريق الوحى، وأنى له عِلْمُها إلا ممن وسع كل شيء علما.

إخبار الله تعالى عن ذاته المقدسة أبلغ في مراقبته وإسلام الوجه له، من التعبير عن نسبة العلم إليه، في قولنا : وَسِعَ عِلْمُهُ كل شَيْء، فنِسْبَة السَّعَةِ إِلَى الله تَعَالَى، يناسب الحديث عن الذات في قوله : (إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ)، كما يقابل عبادتهم المزعومة للعجل، وهو أليق بمادية بني إسرائيل الذين سألوا موسى أن يروا الله جهرة.

كما أن قوله : (علما) يستلزم القدرة"ولكنه اعتنى بإثبات العلم الواسع لاستلزامه للقدرة على كل ما يمكن أن يتعلق به"[٣] .

المطلب السابع : قوله تعالى : (وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا).

في قوله : (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا)(الفرقان/ ٣١).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

في سياق اعتراض الكافرين على بعثة بشر منهم، و رجائهم إنزالَ الملائكة عليهم، أو رؤيةَ الله جهرةً، و تهديدِهم بالندم على ما فاتهم من الإيمان بك-يا رسول الله-ولات حين مندم، وشكايةِ الرسول إلى الله هجرَ قومه للقرآن، ثم تعزيةِ الله له بهذه الآية الكريمة، وفيها أن عداوة هؤلاء لك من سنة الابتلاء، فكما أن لك عدوا كأبي جهل وغيره، كذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين، و الله كافيك وناصرك.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

---

(١)الجدول١٦/ ٤١٧.

(٢)تفسير الطبري١٨/ ٣٦٧.

(٣) نظم الدرر١٢/ ٣٣٨.

أي : وكفاك يا محمد بربك هاديا يهديك إلى الحقّ، ويبصرك الرشد، ونصيرا لك على أعدائك[١].

و (هَادِيًا وَنَصِيرًا) منصوبان على وجهين :

أحدهما الحال، المعنى وكفى ربُّك في حال الهداية والنَصْرِ.

والوجْهُ الثاني أن يكون منصوبـًا على التمييز على معنى كفى ربُّك من الهُدَاةِ والنُّصَّارِ[٢].

وكلام ابن عاشور يوحي بترجيحه الحالية؛إذ يقول : "أي : كفى ربك في هذه الحالة"[٣].

ومن فائدة قوله(هاديا ونصيرا) ما يأتي :

١-تسلية النبي-صلى الله عليه وسلم-ومواساته، ووعده النصرة على أعدائه[٤].

٢- التَعْرِيضٌ بِأَنْ يُفَوِّضَ الْأَمْرَ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ كَافٍ فِي الْهِدَايَةِ وَالنَّصْرِ[٥].

المطلب الثامن : قوله تعالى : (وكفى بالله عليما)، ودلالته :

في قوله تعالى : (ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَىٰ بِاللهِ عَلِيمًا)(النساء/ ٧٠).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن الجزاء الأوفى، الذي وعده الله عباده المؤمنين، ممن فعلوا ما أمرهم به الله ورسوله، من أمر القتال في سبيل الله أو غيره، فهم مع المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهذه أحسن رفقة، وهذا الفضل لمن كان على دربهم وإن لم يكن منهم، فالمرء مع من أحب، وحسبهم أن الله يعلمهم، وإن جهل البشر مكانتهم.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

فقوله : "(عليما)تمييز منصوب، أو حال منصوبة"[٦]

أي : وحسب العباد بالله الذي خلقهم"عليما"بطاعة المطيع منهم ومعصية العاصي، حتى يجازي جميعهم[٧].

ومن دلالات التمييز هنا بيان إنعام الله على بعض خلقه، وأن "مدار التفضيل هو علم الله تعالى لما يعلم من صحة بواطنهم اللازم منها شرف ظواهرهم... يعلم من الظواهر والضمائر ما يستحق به التفضيل من فضله على غيره."[١].

---

(١) ينظر:تفسير الطبري١٩/ ٢٦٥.

(٢) ينظر:معاني القرآن وإعرابه للزجاج٤/ ٦٦، والدر المصون للسمين الحلبي٨/ ٤٨١.

(٣)ينظر:التحرير والتنوير١٩/ ١٨، بتصرف يسير..

(٤) ينظر الكشاف للزمخشري٣/ ٢٧٧ باختصار.

(٥) المرجع السابق بتصرف.

(٦) الجدول٥/ ٨٧، وإعراب القرآن وبيانه٢/ ٢٥٦.

(٧) تفسير الطبري ٨/ ٥٣٦.

المبحث الثاني
تعدد التمييز في ختام الآيات ومناسبته المعنى

أولا : دلالة التمييزين في فاصلة الآية، وأثر الإعراب في المعنى :

الموضع الأول : في قوله تعالى : (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا)(النساء/ ٨٤).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وردت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن القتال في سبيل الله، و إعلام النبيﷺ بحال فريق من المنافقين يفتون في عضد الصف المسلم، و ينشرون الأخبار دون تثبت، ثم أمر الله نبيهﷺ بالقتال وتحريض المؤمنين، والأخذ بالأسباب، فللكافرين قوة، ولله القوة جميعا، والله أشد بأسا وأشد تنكيلا، وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

فقوله(بأسا) و(تنكيلا) تمييزان، "والله أشد نكاية في عدوه، من أهل الكفر به منهم فيك يا محمد وفي أصحابك، فلا تنكُلَنَّ عن قتالهم، فإني راصِدُهم بالبأس والنكاية والتنكيل والعقوبة، لأوهن كيدهم، وأضعف بأسهم، وأعلي الحق عليهم.

و"التنكيل" مصدر من قول القائل : "نكلت بفلان"، فأنا أنكّل به تنكيلا"، إذا أوجعته عقوبة"(٢).

"وَجُمْلَةُ(وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا) تَذْيِيلٌ لِتَحْقِيقِ الرَّجَاءِ أَوِ الْوَعْدِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا إِذَا شَاءَ إِظْهَارَ ذَلِكَ، وَمِنْ دَلَائِلِ الْمَشِيئَةِ امْتِثَالُ أَوَامِرِهِ الَّتِي مِنْهَا الِاسْتِعْدَادُ وَتَرَقُّبُ الْمُسَبِّبَاتِ مِنْ أَسْبَابِهَا. وَالتَّنْكِيلُ عِقَابٌ يَرْتَدِعُ بِهِ رَائِيهِ فَضْلًا عَنِ الَّذِي عُوقِبَ بِهِ"(٣).

ومن دلالات التمييز هنا الترغيب في الجهاد ضد هؤلاء الكافرين، واستحضار بأس الله تعالى وتنكيله بهم؛فإن وقوع كلمة(بأسا)تمييزا، يلفت الانتباه إلى ضآلة بأس الكافرين وقوتهم أمام بأس الله وقوته، ووقوع كلمة(تنكيلا) تمييزا يشير إلى عظيم العقوبة الإلهية التي ينالها الكافرون ومَن على ضربِهم ممن يشاهدهم، أو يسمع بهم، وإعادة كلمة(أشد) يفيد زيادة التأكيد على الشدة، وتنويعها مما يتناسب وحالَهم.

---

(١) ينظر:نظم الدرر٥/ ٣٢٢ باختصار.

(٢)تفسير الطبري٨/ ٥٨٠.

(٣) التحرير والتنوير٥/ ١٤٣.

الموضع الثاني : في قوله تعالى : (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)(٣٤).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت هذه الآية الكريمة في سياق قصة صاحب الجنتين، إذ قال بغرور وبطر لصاحبه المؤمن : أنا أكثر منك مالا وعشيرة وأعوانا.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

(أكثر) (مالا) تمييز منصوب (الواو) عاطفة (أعزّ نفرا) مثل أكثر مالا و معطوف عليه[١]

أي : أعزّ عشيرة ورَهْطا[٢] .

ومن دلالات التمييز هنا بيان التدني القبيح الذي وصل إليه هذا الكافر، حيث أعماه كثرة ماله، وغره اعتزازه بنفره عن رؤية الحق، فبلغ من العمى أنه لم ير إلا نفسه، حتى ألصق ماله ونفره في شخصه، وأخبر بهما عنه، فقال : (أنا أكثر منك مالا) ولم يقل : مالي أكثر من مالك، وقال : (وأعز نفرا)، ولم يقل : ونفري أعز من نفرك، فظهر للتمييز أثره في المعنى، وقيمته في الدلالة، "عَلَى أَنَّ صَاحِبَهُ قَدْ وَعَظَهُ فِي الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَرَاجَعَهُ الْكَلَامَ بِالْفَخْرِ عَلَيْهِ وَالتَّطَاوُلِ شَأْنَ أهل الغطرسة والنقائص أَنْ يَعْدِلُوا عَنِ الْمُجَادَلَةِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَى إِظْهَارِ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ"[٣].

الموضع الثالث : في قوله : (هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا).

في قوله تعالى : (هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا)(الكهف/ ٤٤).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت هذه الآية الكريمة خاتمة لقصة صاحب الجنتين، تقريرا وتأكيدا لما حل بصاحب الجنتين الكافر، وبما سيلقاه في الآخرة، مقابل ما يلقاه المؤمن الموالي لله تعالى، من نعيم وحسن عاقبة.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

(هُوَ خَيْرٌ) مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة (ثَوابًا) تمييز، (وَخَيْرٌ عُقْبًا) معطوف على خير ثوابا[٤].

أي : خير للمنيبين في العاجل والآجل ثوابا، وخيرهم عاقبة في الآجل[٥].

---

(١)الجدول١٥/ ١٨٥.

(٢)تفسير الطبري١٨/ ٢٢.

(٣) التحرير والتنوير١٥/ ٣٢٠.

(٤)إعراب القرآن للدعاس٢/ ٢٢٠

(٥)تفسير الطبري١٨/ ٢٩.

ومن دلالات التمييز هنا بيان عناية الله بالمؤمنين؛حيث هداهم- للإيمان، ووفقهم للإحسان، "وَخَيْرٌ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى أَخِيرَ، فَيَكُونُ التَّفْضِيلُ فِي الْخَيْرِيَّةِ عَلَى ثَوَابِ غَيْرِهِ وَعُقْبِ غَيْرِهِ، فَإِنَّ مَا يَأْتِي مِنْ ثَوَابٍ مِنْ غَيْرِهِ وَمِنْ عُقْبَى إِمَّا زَائِفٌ مُفْضٍ إِلَى ضُرٍّ وَإِمَّا زَائِلٌ، وَثَوَابُ اللهِ خَالِصٌ دَائِمٌ وَكَذَلِكَ عُقْبَاهُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَيْرٌ اسْمًا ضِدَّ الشَّرِّ، أَيْ هُوَ الَّذِي ثَوَابُهُ وَعُقْبُهُ خَيْرٌ وَمَا سِوَاهُ فَهُوَ شَرٌّ.

وَالتَّمْيِيزُ تَمْيِيزُ نِسْبَةِ الْخَيْرِ إِلَى اللهِ. وَ «الْعُقْبُ» بِضَمَّتَيْنِ وَبِسُكُونِ الْقَافِ بِمَعْنَى الْعَاقِبَةِ، أَيْ آخِرَةُ الْأَمْرِ. وَهِيَ مَا يَرْجُوهُ الْمَرْءُ مِنْ سَعْيِهِ وَعِمْلِهِ.

فَكَأَنَّ مَا نَالَهُ ذَلِكَ الْمُشْرِكُ الْجَبَّارُ مِنْ عَطَاءٍ إِنَّمَا نَالَهُ بِمَسَاعٍ وَأَسْبَابٍ ظَاهِرِيَّةٍ وَلَمْ يَنَلْهُ بِعِنَايَةٍ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَكَرَامَةٍ فَلَمْ يَكُنْ خَيْرًا وَكَانَتْ عَاقِبَتُهُ شرا عَلَيْهِ[١].

الموضع الرابع : في قوله : (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا)(الكهف/ ٤٦).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت الآية بعد قصة صاحب الجنتين، تعقيبا عليها بضرب مثلِ الدنيا وحالِها، و سرعةِ زوالها، فلا يغترَنَّ صاحبُ المال أو الجاه، ولا يغترَنَّ أهلُ الدنيا بدنياهم.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

(ثَوابًا) تمييز (وَخَيْرٌ) معطوف على خير، (أَمَلًا) تمييز[٢].

قوله تعالى (خير عند ربك ثوابا) أي جزاء . المراد : (وخير أملا) أي ما يأمله الإنسان[٣] .

ومن دلالات التمييز هنا توجيه الله لعباده المؤمنين إلى خير ما يحصلونه في المستقبل؛إذ أن الأمل هو "شيء يرجى تحصيله في المستقبل"[٤]، و المال والبنون أكثر ما يأمله الناس، ولكنهما إلى زوال، ولا يمتد نفعهما إلا إذا كانا من جملة الباقيات الصالحات، وتقديم وصف(الباقيات)على (الصالحات) للتنبيه على أن ماذكر قبله ليس بباق، وهو المال والبنون.

" وتكرير خَيْرٌ للمبالغة، وقيل : لها وللإشعار باختلاف جهتي الخيرية"[٥].

"وَمَعْنَى (وَخَيْرٌ أَمَلًا) أَنَّ أَمَلَ الْآمِلِ فِي الْمَالِ وَالْبَنِينَ إِنَّمَا يَأْمُلُ حُصُولَ أَمْرٍ مَشْكُوكٍ فِي حُصُولِهِ وَمَقْصُورٍ عَلَى مُدَّتِهِ. وَأَمَّا الْآمِلُ لِثَوَابِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَهُوَ يَأْمُلُ حُصُولَ أَمْرٍ مَوْعُودٍ بِهِ مِنْ صَادِقِ الْوَعْدِ، وَيَأْمُلُ شَيْئًا تَحْصُلُ مِنْهُ مَنْفَعَةُ الدُّنْيَا وَمَنْفَعَةُ الْآخِرَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : (مَنْ عَمِلَ صالِحًا مِنْ ذَكَرٍ

---

(١) ينظر:التحرير والتنوير١٨/ ٢٩بتصرف.

(٢)إعراب القرآن للدعاس٢/ ٢٢٠.

(٣)تفسير البغوي٣/ ١٩٥.

(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (أمل)٤/ ٢١١٢.

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، ٨/ ٢٧٢، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط/ ١، ١٤١٥ هـ٨/ ٢٧٢.

أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [النَّحْل : ٩٧] . فَلَا جَرَمَ كَانَ قَوْلُهُ : وَخَيْرٌ أَمَلًا بِالتَّحَقُّقِ وَالْعُمُومِ تَذْيِيلًا لما قبله"[١].

ولا أحب أن استطرد في ذكر الخلاف في تفسير الباقيات الصالحات، ولكني أميل إلى أنها جميع أعمال الخير، التي ترضي الله تعالى، ويدخل فيها ما روي عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم- أنه قال : " سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، هنّ من الباقيات الصالحات"[٢]

ومثله قوله تعالى : (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا)، وسيأتي الحديث عنه.

الموضع الخامس : قوله : (فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا)(الكهف/ ٨١).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت في سياق قصة موسى والخضر، وتفسير الخضر لموسى قتْلَه للغلام، بأن ذلك خير له، ولأبويه في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

(زَكاةً) تمييز (وَأَقْرَبَ) معطوف على خيرا (رُحْماً) تمييز[٣].

أي : "صلاحا ودينا... (وأقرب رحما) قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب : بضم الحاء والباقون بجزمها أي : عطفا من الرحمة . وقيل : هو من الرحم والقرابة قال قتادة : أي أوصل للرحم وأبر بوالديه" [٤].

ومن دلالات التمييز هنا بيان لطف الله ورحمته بالغلام وأبويه؛حيث قُتل الغلام قبل البلوغ، وحفظ الله إيمان أبويه، وأبدلهما خيرا منه طهارة-مراعاة لقول موسى : (أقتلت نفسا زكية)"و براً بهما وعطفاً عليهما ورحمة لهما فكان الضرر اللاحق لهما بالتأسف عليه أدنى من الضرر اللاحق لهما"[٥].

الموضع السادس : في قوله تعالى : (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا)(مريم/ ٧٣).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت الآية في سياق الحديث عن استبعاد الكافرين للبعث، ورد الله عليهم، ثم ذكر مشهد الحشر والورود على الصراط، ونجاة المؤمنين، وهلاك الكافرين، والإخبار في هذه الآية عن شبهة الكافرين،

---

(١) التحرير والتنوير١٥/ ٣٣٤.

(٢) ينظر:تفسير الطبري ١٨/ ٣٥، ٣٦.

(٣)إعراب القرآن الكريم، لأحمد عبيد الدعاس، ٢/ ٢٢٩، الناشر: دار المنير ودار الفارابي – دمشق، ط/ ١، ١٤٢٥ه

(٤)تفسير البغوي٣/ ٢١٠.

(٥) نظم الدرر١٢/ ١٢١.

في كونهم خيرا من المؤمنين في الإقامة والمساكن والأتباع، وفي الآية التالية تهديد لهم، وفي الثالثة جواب ورد.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

(أي) استفهامية مبتدأ و(خير) خبر و(مقاما) تمييز و(أحسن) عطف على خير و(نديا) تمييز[١].

يَعْني بالمقام : موضع إقامتهم، وهي مساكنهم ومنازلهم (وَأَحْسَنُ نَدِيًّا) وهو المجلس، يقال منه : ندوت القوم أندوهم ندوًّا : إذا جمعتهم في مجلس، ويقال : هو في نديّ قومه وفي ناديهم : بمعنى واحد ، ...وتأويل الكلام : وإذا تتلى عليهم آياتنا بيِّنات، قال الذين كفروا للذين آمنوا : أيّ الفريقين منا ومنكم أوسع عيشا، وأنعم بالا وأفضل مسكنا، وأحسن مجلسا، وأجمع عددا وغاشية في المجلس، نحن أم أنتم؟[٢]

"وَقَرَأَ مَنْ عَدَا ابْنِ كَثِيرٍ مَقامـًا- بِفَتْحِ الْمِيمِ- عَلَى أَنَّهُ اسْمُ مَكَانٍ مِنْ قَامَ، أُطْلِقَ مَجَازًا عَلَى الْحَظِّ وَالرِّفْعَةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ [الرَّحْمَن : ٤٦]، فَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْقِيَامِ الْمُسْتَعْمَلِ مَجَازًا فِي الظُّهُورِ وَالْمَقْدِرَةِ، وَقَرَأَهُ ابْنُ كَثِيرٍ[٣]- بِضَمِّ الْمِيمِ- مِنْ أَقَامَ بِالْمَكَانِ، وَهُوَ مُسْتَعْمَلٌ فِي الْكَوْنِ فِي الدُّنْيَا، وَالْمَعْنَى : خَيْرٌ حَيَاةً"[٤]

ومن دلالات التمييز هنا ما يأتي :

١- إقبال الكافرين على إلقاء شبهة واهية، وهي المفاخرة بالدنيا، وأنهم خير منزلا وإقامة من المؤمنين، وأحسن منهم مجلسا ومتحدثا.

٢-وتعدد التمييز(مقاما ونديا) في ختام قولهم دليل على غفلتهم عن قدرة المنعم سبحانه في سلب هذه النعم، فأي ميزة لهم إذن؟!

٣-تأكيد الاستفهام التقريري الكائن في قولهم : (أي الفريقين)؛وذلك عن طريق احتجاجهم بالمحسوسات على قياسهم الفاسد.

الموضع السابع : قوله تعالى : (قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا)(مريم/ ٧٥).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

---

(١)إعراب القرآن وبيانه للدرويش٦/ ١٤١.

(٢)تفسير الطبري١٨/ ٢٣٨.

(٣) ينظر:السبعة في القراءات لابن مجاهد٤١١، تح: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ط/ ٢، ١٤٠٠ه ـوالكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب٢/ ٩١، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري٢/ ٣١٩.

(٤) التحرير والتنوير١٦/ ١٥٤.

في الآية السابقة(مريم/ ٧٣) مضت شبهة الكافرين، في كونهم خيرا من المؤمنين في الإقامة والمساكن والأتباع، و في الآية التالية لها(٧٤) أورد تهديدا لهم، وإعلامهم بأن ماهم فيه ما هو إلا إمهال واستدراج، ثم أتبع ذلك التهديد بالرد المفحم لهم، فلينتظروا قيام الساعة، فسيعلمون حينها من هو شر منزلا وأضعف ناصرا.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

(هُوَ شَرٌّ) مبتدأ وخبر والجملة صلة (مَكانًا) تمييز(وَأَضْعَفُ) معطوف على شر(جُنْداً) تمييز[١].

وهذه الآية جواب شبهة الكافرين السابقة، وفيها من البلاغة ما يسمى باللف والنشر المرتب[٢] :

و ذلك في قوله تعالى «شَرٌّ مَكانًا وَأَضْعَفُ جُنْداً»؛حيث رجع الأول إلى «خَيْرٌ مَقامًا»، والثاني إلى «وَأَحْسَنُ نَدِيًّا»[٣] ، وقوله : (حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب) وهو الأسر والقتل في الدنيا (وإما الساعة)يعني : القيامة فيدخلون النار(فسيعلمون) عند ذلك (من هو شر مكانا) منزلا (وأضعف جندا) أقل ناصرا أهم أم المؤمنون؟ لأنهم في النار والمؤمنون في الجنة وهذا رد عليهم في قوله : (أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا)[٤] ، ومن دلالات التمييز أنه أبلغ رد على المشركين؛حيث جاء بمقابل ما كانوا يظنون، و ضد ما كانوا يتوقعون.

الموضع الثامن : في قوله : (وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا)(مريم/ ٧٦).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

بعد الرد على الكافرين، في نظرتهم إلى مقياس الخيرية في الدنيا، وادعائهم أنهم خير من المؤمنين، جاءت هذه الآية الكريمة، فلما ذكر الله إمداد المضلين بالضلال، ذكر هنا زيادة المهتدين بالهدى، وعنوان السعادة هو العمل الصالح، لا المباهاة والافتخار بزخارف الحياة الدنيا.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

(ثوابا) تمييز منصوب وكذلك (مردّا) [٥].

(ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) أي إيمانا وإيقانا على يقينهم (والباقيات الصالحات) الأذكار والأعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها (خير عند ربك ثوابا وخير مردا) عاقبة ومرجعا [٦].

---

(١)إعراب القرآن للدعاس٢/ ٢٤٩.

(٢) «هو ذكر متعدّد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكلّ واحد من غير تعيين، ثقة بأنّ السامع يردّه إليه» ينظر:الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ص٥٠٣.

(٣)الجدول١٦/ ٣٣١.

(٤) ينظر:تفسير البغوي، ٣/ ٢٤٩.

(٥)إعراب القرآن وبيانه، ٦/ ١٤٣.

(٦)تفسير البغوي ٣/ ٢٥٠.

ومن دلالات التمييز : بيان فضل الله على المؤمنين المهتدين في الدنيا، والآخرة .

الموضع التاسع : في قوله : (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا)(الفرقان/ ٢٤).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت الآية الكريمة في سياق الحديث عن طعن الكافرين في بعثة الرسولﷺ ، و رجائهم أن يكون المنزل عليهم ملكا، أو يروا ربهم جهرة، وافتخارهم بما يعملون من خير كالكرم والبر وغيرهما، و رد القرآن عليهم ببطلان أعمالهم؛لعدم إيمانهم بالله ورسله، ثم جاءت هذه الآية الكريمة لبيان منزلة المؤمنين في الجنة، وأنهم خير من هؤلاء الكفار في الدنيا والآخرة.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

(خَيْرٌ)خبر(أصحاب)، والجملة ابتدائية (مُسْتَقَرًّا)تمييز(وَأَحْسَنُ)معطوف على خير(مَقِيلًا) تمييز[١]. (مقيلا)، اسم مكان من قال يقيل بمعنى استراح في نصف النهار، ، والمقيل : في الأصل مكان القيلولة- وهي النوم نصف النهار- ونقل من ذلك إلى مكان التمتع بالأزواج، وقيل : أريد به مكان الاسترواح مطلقا، وإنما لم يبق على الأصل، لأنه لا نوم في الجنة أصلا[٢]، وأهل الجنة يوم القيامة خير مستقرّاً وهو الموضع الذي يستقرّون فيه من منازلهم في الجنة من مستقرّ هؤلاء المشركين الذين يفتخرون بأموالهمً وما أوتوا من عرض هذه الدنيا في الدنياً وأحسن منهم فيها مقيلا[٣].و"المستقرّ : المكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم مستقرّين يتجالسون ويتحادثون، والمقيل : المكان الذي يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم والتمتع بمغازلتهنّ وملامستهنّ، كما أنّ المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب"[٤].

ومن دلالات التمييز هنا الإشارة إلى ما يتزين به مقيل أصحاب الجنة من حسن الوجوه وملاحة الصور، إلى غير ذلك من التحاسين والزين[٥].

الموضع العاشر : في قوله : (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا)(الفرقان/ ٣٤).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

---

(١)إعراب القرآن للدعاس٢/ ٣٦٩.

(٢)الجدول ١٩/ ٨.

(٣)ينظر:تفسير الطبري١٩/ ٢٥٨، باختصار.

(٤) ينظر: الكشاف للزمخشري٣/ ٢٧٥.

(٥) السابق ذاته.

وقعت في سياق المقابلة بين أصحاب الجنة الذين قابلوا ما أنزل على الرسول بالرضا والقبول، وبين أصحاب النار الذين عارضوا الرسول، واعترضوا عليه، واستكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا، وقد سبق الحديث عن أصحاب الجنة، وهنا الحديث عن حالة الكافرين عند الحشر.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

فقوله : (مكانا) و(سبيلا) تمييزان، بينا سوء حالهم ومآلهم، حيث "يخبر تعالى عن حال المشركين الذين كذبوا رسوله وسوء مآلهم، وأنهم {يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ} أشنع مرأى، وأفظع منظر تسحبهم ملائكة العذاب ويجرونهم {إِلَى جَهَنَّمَ} الجامعة لكل عذاب وعقوبة. {أُولَئِكَ} الذين بهذه الحالة {شَرٌّ مَكَانًا} ممن آمن بالله وصدق رسله، {وَأَضَلُّ سَبِيلا}[١].وسيأتي تفصيل الحديث عن دلالة السبيل والفرق بينه وبين الطريق بعد إن شاء الله!

ومن دلالات التمييز هنا بيان شدة ضلال هؤلاء الكافرين، حيث عموا عن طريق الجنة التي لا أجلى منها ولا أوسع، وسلكوا طريق النار التي لا أضيق منه ولا أوعر، وعموا عن أن إنزال القرآن نجوماً أولى لما تقدم من اللطائف وغيرها مما لا يحيط به إلا الله تعالى[٢].

الموضع الحادي عشر : قوله : (حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا)٢٤.

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وردت في سياق الحديث عن دعوة النبيﷺ ، وموقف الكافرين منها، وتهديد القرآن لهم بالخلود في النار، إن هم ماتوا على كفرهم، ولن ينجيهم يومئذ من عذابه أحد.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

(ناصِراً) تمييز (وَأَقَلُّ) معطوف على أضعف (عَدَداً) تمييز[٣].

فوقع التمييز من جنس ما يتهكمون به على المؤمنين، وهو الضعف وقلة العدد، ويفاخرون بضده.

ومن دلالات التمييز هنا زيادة الوعيد للكافرين، وتيأيسهم من النجاة أو الغلبة(في يوم بدر أو في الآخرة)[٤]، و"ضَعْفُ النَّاصِرِ وَهَنٌ لَهُمْ مِنْ جِهَةِ وَهَنِ أَنْصَارِهِمْ، وَقِلَّةُ الْعَدَدِ وَهَنٌ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ أَنْفُسِهِمْ، وَهَذَا وَعِيدٌ لَهُمْ بِخَيْبَةِ غرورهم"[٥].

---

(١) تفسير السعدي٥٨٣.

(٢) ينظر:روح المعاني١٠/ ١٨بتصرف.

(٣)إعراب القرآن للدعاس٣/ ٣٩٢.

(٤) يقول الرازي: "حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ مِنْ يَوْمِ بَدْرٍ وَإِظْهَارِ اللهِ لَهُ عَلَيْهِمْ أَوْ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَسَيَعْلَمُونَ أَيُّهُمْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا" ينظر:تفسير الرازي:٣٠/ ٦٧٧.

(٥) التحرير والتوير٢٩/ ٢٦٢.

الموضع الثاني عشر : في قوله : (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا)(المزمل/ ٦).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

سورة المزمل من أوائل السور المنزلة على قلب النبيﷺ ، لتثبيت قلبه، والشد من أزره، وهذه الآية الكريمة وقعت سادسة المطلع الفريدِ فيها، حيث نودي عليه بوصفِ حالتِه التي كان عليها من التلفف في ثيابه، وأمره بقيام الليل، وبيان فضل ساعات الليل-في التدبر والتفكر- على النهار.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

قوله : (أَشَدُّ وَطْئًا) : بِكَسْرِ الْوَاوِ بِمَعْنَى مُوَاطَأَةً؛ وَبِفَتْحِهَا وَهُوَ اسْمٌ لِلْمَصْدَرِ، وَوَطْأً عَلَى فَعْلٍ، وَهُوَ مَصْدَرُ وَطِئَ، وَهُوَ تَمْيِيزٌ[١].أي : ساعات الليل، وكلّ ساعة من ساعات الليل ناشئة من الليل[٢].

وقوله : (وَأَقْوَمُ قِيلا) أي : وأصوب قراءة[٣]، " وأصح قولا لهدأة الناس وسكون الأصوات"[٤].ذكر الرازي-للعلماء- في معنى(ناشئة الليل)وجهين، ثم عززهما بثالث، فالأول : أنها ساعات الليل، والثاني : الأمور التي تحدث في ساعات الليل من القيام بعد النوم وغيره، ثم قال : " وَعِنْدِي فِيهِ وَجْهٌ ثَالِثٌ : ... فَالْمُرَادُ مِنْ نَاشِئَةِ اللَّيْلِ تِلْكَ الْوَارِدَاتُ الرُّوحَانِيَّةُ، وَالْخَوَاطِرُ النُّورَانِيَّةُ، الَّتِي تَنْكَشِفُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ بِسَبَبِ فَرَاغِ الْحَوَاسِّ، وَسَمَّاهَا نَاشِئَةَ اللَّيْلِ؛لِأَنَّهَا لَا تَحْدُثُ إِلَّا فِي اللَّيْلِ بِسَبَبِ أَنَّ الْحَوَاسَّ الشَّاغِلَةَ لِلنَّفْسِ مُعَطَّلَةٌ فِي اللَّيْلِ وَمَشْغُولَةٌ فِي النَّهَارِ"[٥]

ولا تعارض بين شيء من الأمور الثلاثة التي ذكرها الإمام الرازي، وإن كان المعنى الثاني أقواها عندي، وهو الأمور التي تحدث فيه؛إذ يدخل فيه ساعاته، كما يدخل فيه هذا الأخير.

ومن دلالات التمييز هنا الترغيب في ساعات الليل، وما فيها من صفاء وهدوء وسكينة وتجليات- في العبادة ، فإنها من عوامل تخلية القلب عن أمراضه، وتحليته بما يسمو به، ويقويه .

ثانيا : دلالة التمييز وما عطف عليه من معنى التمييز، وأثر الإعراب في المعنى :

الموضع الأول : في قوله : (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا)(الكهف/ ٣٩).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت الآية الكريمة في سياق قصة صاحب الجنتين، ومحاورتهما، وقد سبق الحديث عن كلام الكافر للمؤمن، وهنا جواب المؤمن على الكافر؛إذ قال له إن رأيتني أقل منك مالا وولدا، ولكني أرجو ما وعدني به ربي مما هو خير لي من الدنيا وما فيها.

---

(١) التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري، ٢/ ١٢٤٦.

(٢)تفسير الطبري٢٣/ ٦٨٢.

(٣)المرجع السابق ذاته

(٤)تفسير البغوي٣/ ١٩٣.

(٥) تفسير الرازي٣٠/ ٦٨٤.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

(مالًا) تمييز (وَوَلَداً) معطوف على (مالا)[١] ، وهو قول المؤمن الذي لا مال له، ولا عشيرة، للكافر : إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا، فإذا جعلت أنا عمادا نصبت أقل، وبه القراءة عندنا، لأن عليه قراءة الأمصار، وإذا جعلته اسما رفعت أقل[٢].

ومن دلالات التمييز هنا : -إظهار كمال العجز والافتقار لله الواحد القهار، ويؤكده العامل(أقلُ) بقراءَتَي(الرفع والنصب)، فالرفع[٣]؛لأن إسنادها للضمير المنفصل(أنا) يؤكد أن معرفتَه بعجز نفسِه، تسبق معرفة غيره، ورؤيته حقيقةَ فقره تسبق رؤية غيره، و"قد قَرَأَ بها عِيسَى بْنُ عُمَرَ عَلَى أَنْ تكون(أنا) مبتدأ، و(أَقَلُّ) خبره، والجملة في موضع مَفْعُولِ(تَرَنِي) الثَّانِي إِنْ كَانَتْ عِلْمِيَّةً، وَفِي مَوْضِعِ الْحَالِ إِنْ كَانَتْ بَصَرِيَّةً.

٢-وَيَدُلُّ قَوْلُهُ وَوَلَداً عَلَى أَنَّ قَوْلَ صَاحِبِهِ وَأَعَزُّ نَفَراً عَنَى بِهِ الْأَوْلَادَ إِنْ قَابَلَ كَثْرَةَ الْمَالِ بِالْقِلَّةِ وَعِزَّةَ النَّفَرِ بِقِلَّةِ الْوَلَدِ.

وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ : أَقَلَّ بِالنَّصْبِ مَفْعُولًا ثَانِيًا لِتَرَنِي وَهِيَ عِلْمِيَّةٌ لَا بَصَرِيَّةٌ لِوُقُوعِ أَنَا فَصْلًا، وَيَجُوزُ أَنْ تكون بصرية وأَنَا تَوْكِيدٌ لِلضَّمِيرِ فِي تَرَنِي الْمَنْصُوبِ فَيَكُونُ أَقَلَّ حَالًا[٤].

٣-كما يدل التمييز هنا على نوعية القلة الواردة؛حيث إنها من جهة ما افتخر به صاحبه(المال والولد)، وبمفهوم المخالفة يشير إلى ما منحه الله من نعم أخرى غير مرئية، كنعمة الإيمان.

الموضع الثاني : في قوله : (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا)(مريم/ ٧٤).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت الآية وسطا، بين إيراد شبهة الكافرين في كونهم خيرا من المؤمنين إقامة ومسكنا ومجالس، والرد عليهم، بأن ما هم فيه ما هو إلا إمداد في الضلال، وإمهال، واستدراج، فوردت هذه الآية عَقِيب شبهتهم؛للتهديد والوعيد بإهلاكهم، كما أهلكنا مِن قبلهم قرونًا كثيرةً، كانوا أحسنَ منهم في الإقامة والمنازل وما فيها من متاع، وأحسنَ منهم صورًا ومنظرًا.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

(هُمْ أَحْسَنُ) مبتدأ وخبر والجملة صفة لقرن (أَثاثًا) تمييز (وَرِءْيًا) معطوف على أثاثا.

والمعنى : وكم أهلكنا قبل هؤلاء الكافرين من قرن هم أكثر متاع منازل من هؤلاء، وأحسن منهم منظرا وأجمل صورا، فأهلكنا أموالهم، وغيرنا صورهم[١]،

---

(١) الجدول١٥/ ١٨٩

(٢)ينظر: تفسير الطبري١٨/ ٢٤، بتصرف.

(٣) معاني القرآن، للفراء، ٢/ ١٤٤، و الكشاف٢/ ٢٦٠ ، والبحر المحيط٦/ ١٢٩ .

(٤)ينظر:البحر المحيط٧/ ١٨٠ بتصرف يسير.

وقرئ(وريًّا) بإبدال الهمزة ياء، وإدغامها في الياء، أو من الري، بمعنى الروية و النظر ومعرفة التدبير، كما قرئ في الشواذ : (وزيا) بالزاي، أي : هيئة ومنظرا، وهو راجع إلى المعنى الأول[٢].

فَهَذِهِ الْجُمْلَةُ مُعْتَرِضَةٌ للتَّهْدِيدُ وَمَا بَعْدَهَا هُوَ الْجَوَابُ[٣].

ومن دلالات التمييز أنه نذير تهديد للكافرين؛حيث جاء التمييز وما عطف عليه (أثاثا ورئيا) من جنس ما زعموه أنه حجة لهم على خيريتهم؛فقد امتحن الله به أقواما قبلهم أحسن منهم ففشلوا فأهلكهم الله تعالى، وبذينك الأمرين الذين افتخروا بهما على المؤمنين، وظنوا أنهما بشيرا خير لهم صارا نذيري شر ووبال عليهم.

ونلحظ اختلاف أفعل التفضيل العامل في التمييز الوارد في الآية السابقة-عند إلقاء شبهة الكافرين؛حيث ذُكر صفتان(خير وأحسن) في قوله : (أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا)، وهنا قال : (أحسن أثاثا ورئيا) فجعل أفعل التفضيل واحدا من الحسن، ولم يذكر الخيرية؛وذلك لأن الأول في مقام المفاخرة والمباهاة، وهو يقتضي تعددَه، كما أنه يناسب ذكر الخيرية، وأما هنا فالمراد تهديدُهم بما كان من إهلاك الأمم قبلهم ممن كانوا أحسن منهم، فلم تذكر الخيرية هنا لمقام التهديد، وليس جوابا عليهم؛وللإشارة إلى أن ما ذكروه لا خير فيه، ولعطف الشيء الحسن في المنظر، وهو(رئيا) على الشيء الحسن في الشكل والقيمة، وهو الأثاث.

الموضع الثالث : في قوله : (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا. إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا)(الفرقان/ ٦٥، ٦٦).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وردت هذه الآية الكريمة في سياق صفات عباد الرحمن، ومن صفاتهم هنا-بعد وصفهم بقيام الليل-أنهم يسألون ربهم أن يبعد عنهم عذاب جهنم، إذ أنها حق، وأن عذابها أليم ملازم لأصحابها.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

يفيد التمييز وما عطف عليه ذم جهنم وعذابها جملةً ب(ساءت)، وتفصيلًا بـ(مستقرا) و(مقاما).

والمعنى : إن جهنم ساءت مستقرًّا ومقاماً يعني بالمستقرّ : القرارُوبالمقام : الإقامة؛ كأن معنى الكلام : ساءت جهنم منزلا ومقاما. وإذا ضمت الميم من المُقام فهو من الإقامةُ وإذا فتحت فهو من قمتُ ويقال : المقام إذا فتحت الميم أيضا هو المجلس[٤].ومن دلالات التمييز هنا اجتماع أنواع

---

(١)ينظر:تفسير الطبري١٨/ ٢٤٠ باختصار.

(٢) يراجع الطبري ، المرجع السابق ذاته، وينظرفي القراءات : السبعة٤١١، والنشر١/ ٣٩٣، والمحتسب٢/ ٤٤.

(٣) التحرير والتنوير١٦/ ١٥٤.

(٤)تفسير الطبري١٩/ ٢٩٧، ٢٩٨.

السوء كله والقبح جميعه في جهنم –والعياذ بالله– فجاء التعبير القرآني موجزا في هذه الآية الكريمة حاملا معاني ودلالاتٍ كبيرة عن سوء النار والإقامة فيها، و عظيم قبحها، وشدة عذابها.

الموضع الرابع : في قوله : (خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا)(الفرقان/ ٧٦).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وردت الآية في ختام صفات عباد الرحمن، إذ أنهم يسألون ربهم الأزواج، والذرية الصالحة، التي تقر بها أعينهم، ثم الجزاء الأوفي، والنعيم المصفى، جنات عاليات، خالدين فيها، فنعم القرار، والإقامة.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

الفاعل في(حسنت) ضمير الغرفة[١]، و(مستقرا) تمييز ، و(مقاما) معطوف [٢].

أي : حسنت تلك الغرفة قرارا لهم، و(إقامة)، وهذه الآية تقابل قوله في جهنم (سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَامًا).

ومن دلالات التمييز هنا : تفسير التعجيب الكائن في العامل(حسنت)؛حيث إن الحُسْن الفائق للقرار والإقامة، يلزم عنه تكريم أهل الجنة وإلقاء السرور والمؤانسة مع الخلود الدائم، و السلامة من كل آفة، وتجدد النعيم بحيث لا موضع للملل أو السآمة، فضلا عن الحزن أو الألم .

المبحث الثالث
(التمييز المنفرد في فواصل الآيات ومناسبته المعنى)

المطلب الأول : الفروق الدلالية بين مايظن به الترادف

المسألة الأولى : دلالة لفظ (سبيلا) في ختام الآيات :

الموضع الأول–قال الله تعالى : (وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاء سَبِيلاً (النساء/ ٢٢)، و نظيره في سورة الإسراء، وسيأتي الحديث عنه.

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن النساء، والنهي عن أخذ شيء من مهورهن، ثم جاءت الآية لبيان نوع من المحرمات نكاحهن، وهي حليلة الأب، فهو فاحشة، وبغض، وجماع السوء كله.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

فقوله(سبيلا) تمييز، ومعنى قوله (ساء سبيلاً)، أي بئس سبيلهم سبيلاً، ففاعل ساء محذوف، ثم فُسر ذلك المحذوف بالنكرة المنصوبة على البيان[١]، أي : "بئس طريقا ومنهجا ما كنتم تفعلونه في جاهليتكم من المناكح التي تناكحونها"[٢]، فإعراب الفاصلة هنا تمييزا له عدة دلالات :

---

(١)التبيان للعكبري٢/ ٨٨٠.

(٢)الجدول١٩/ ٤١.

أ-بيان جنس المخصوص بالذم، المبهم في النسبة، أي : أن وقوعه تمييزا وضَّح الإبهام الكائن في جملة(ساء)، المكوَّنة من الفعل والفاعل، أي : ساء سبيلُهم من سبيل، وفيه إشارة إلى شمولية السوء، لكل سبيل غيرِ سبيل المؤمنين، وكأنه جمَع السوء كلَّه.

ب-زيادة ذم لهذا السبيل، وتأكيد له؛وذلك لأنه بمنزلة المخصوص بالذم، فكأنه مذموم مرتين، مرة في الجملة بالفعل (ساء) مع الضمير المفسَّر بعدُ بالتمييز، أي ساء سبيلهم، وأخرى ببيانه وذكر المخصوص بالذم، وكأنه السبيل الوحيد المذموم من بين السبل.

ج-بيان الجهة التي جرى منها الذم وهو كونه (سبيلا)، أي أنه ليس مجردَ فعل سيئ، وإنما هو طريق ممتد من آبائهم إليهم، فهم على آثارهم مقتدون، و بئست القدوة.

الدلالات الأخرى لكلمة (سبيلا)

وردت كلمة (سبيل)في القرآن الكريم مفردًا ومجموعًا، معرفًا ومنكرًا، مضافًا وغير مضافٍ (١٧٦)[٣] مرة، و معناه الطريق، وهو بهذا في كل القرآن، وإنما يختلف المراد بحسب السياق.

قال ابن فارس : (سَبَلَ) السِّينُ وَالْبَاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى إِرْسَالِ شَيْءٍ مِنْ عُلُوٍّ إِلَى سُفْلٍ، وَعَلَى امْتِدَادِ شَيْءٍ.

الْأَوَّلُ مِنْ قِيلِكَ : أَسْبَلْتُ السِّتْرَ، وَأَسْبَلَتِ السَّحَابَةُ مَاءَهَا وَبِمَائِهَا. وَالسَّبَلُ : الْمَطَرُ الْجَوْدُ، وَسِبَالُ الْإِنْسَانِ مِنْ هَذَا؛ لِأَنَّهُ شَعْرٌ مُنْسَدِلٌ، وَقَوْلُهُمْ لِأَعَالِي الدَّلْوِ أَسْبَالٌ، مِنْ هَذَا، كَأَنَّهَا شُبِّهَتْ بِالَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِنْسَانِ، قَالَ :

إِذْ أَرْسَلُونِي مَاتِحًا بُدَلَائِهِمْ ∴ فَمَلَأْتُهَا عَلَقًا إِلَى أَسْبَالِهَا

وَالْمُمْتَدُّ طُولًا : السَّبِيلُ، وَهُوَ الطَّرِيقُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِامْتِدَادِهِ. وَالسَّابِلَةُ : الْمُخْتَلِفَةُ فِي السُّبُلِ جَائِيَةً وَذَاهِبَةً. وَسُمِّيَ السُّنْبُلُ سُنْبُلًا لِامْتِدَادِهِ. يُقَالُ أَسْبَلَ الزَّرْعُ، إِذَا خَرَجَ سُنْبُلُهُ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : سَبَلُ الزَّرْعِ وَسُنْبُلُهُ سَوَاءٌ. وَقَدْ سَبَلَ وَأَسْبَلَ[٤] .

و"السَّبَل- بالتحريك : الثياب المُسْبَلة، ومنه : أسبل إزاره : أرخاه، وأسبل الفرس ذنَبه : أرسله، وأسبل ثيابه : طَوَّلها وأرسلها إلى الأرض، وعين سَبْلاء : طويلة الهُدْب، والسَّبَل-بالتحريك : المطر بين السماء والأرض"[١].

---

(١) ينظر:التبيان للعكبري١/ ٣٤٣.

(٢)وما مصدرية، كما ذكر الطبري٨/ ١٣٨؛لأنها تشمل تحريم كل نكاح كرهه الله للمؤمنين، مما كان عند الأمم من قبلهم، وأما تحريم حلائل الآباء فمنصوص عليه في قوله:(لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها)، ويحتمل أن تكون موصولة كما ذهب إليه كثير من المفسرين، فتكون خاصة بتحريم حلائل الآباء.

(٣)ينظر:المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، ص٣٤١-٣٤٤، دار الجيل، بيروت.

(٤) معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، (سبل)٣/ ١٢٩، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

ويدور المعنى المحوري حول"امتداد إلى أسفل مع اتصال، كالثياب الممتدة إلى الأرض، وذنب الفرس يصل إلى الأرض أو يكاد إذا أرسله، والهدب الطويل يصل إلى ما تحت العين، والمطر المذكور يبدو خيوطا ممتدة من السحاب إلى الأرض "(٢).

قلت : والسبيل منه؛لأنه ممتد باسترسال واتصال، والسير في الطريق الموصوف بذلك يشير إلى سهولته، كأنه ينجذب انجذابا إلى الأمام، أو إلى أسفل، كقول امرئ القيس : (كجلمود صخر حطه السيل من عل)، فوقع الجلمود تحت تأثير قوتين : قوة الجاذبية الأرضية، وقوة دفع السيل له، فسهولة السبيل وتمكُّنُ السائر منه حقيقة، واسترساله من أعلى إلى أسفل كناية عن اليسر، وقرينتها غير مانعة من إرادة المعنى الحقيقي؛ولذا ترى أن السير في الطريق المنحدر أسهل منه في الطريق المرتفع.

وقوله (سبيلاً) على وزن (فعيل)، ومن التعريف لكلمة السبيل يتبين أنه الطريق الواضح لكثرة الجريان فيه، وهو هنا اسم جنس لا سَبيلاً واحداً بعينه، والسَّبِيلُ يُذَكَّرُ ويُؤَنَّثُ، والتَّأْنِيثُ أَكْثَرُ قالَ الله تَعالى : " وإِنْ يَرَوْا سَبيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبيلاً " وشَاهِدُ التَّأْنِيْثِ : " قُلْ هذهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ "(٣) .

والسبيل ((الطريق، وهو مستعار هنا للفعل الذي يلازمه المرء ويكون له دأبًا، استعارة مبنية على استعارة السير للعمل، فبنى استعارة السير للعمل استعارة السبيل له بعلاقة الملازمة))(٤) .

وجميع أصوات كلمة (سبيلا) مستفلة، وهذا مناسب لدلالته على السهولة، سواء أكان خيرا أم شرا.

وحركة الفتحة في أوله(سَ) ثم الكسرة الطويلة(بي) يناسب ما جاء في معناه المحوري، وهو الامتداد إلى أسفل، كما أن اللام(بما في مخرجها من امتداد طرف اللسان والتقائه بأعلى اللثة، وامتداد الصوت بها)- تشير إلى امتداد السبيل كما جاء في تركيبه اللغوي.

الفرق بين السبيل والطريق والصراط :

من خلال ما سبق نلحظ في معنى السبيل أنه ممتد، فما سمي السبيل سبيلا إلا لامتداده كما قال ابن فارس من مادة سبل الدالة على الامتداد، كما قال الفقيمي(٥) :

وما كنت نوامًا ولكن ثائرًا ∴ أناخ قليلًا فوق ظهر سبيل

---

(١)المرجع السابق(طرق)، ٣/ ٤٤٩..

(٢)ينظر:المعجم الاشتقاقي المؤصل لأستاذنا الدكتور جبل(سبل)٢/ ٩٥٢، ٩٥٣.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، (سبل)٢٩/ ١٦١، تح/ مجموعة من العلماء، دار الهداية، مصر..

(٤)التحرير والتنوير١٥/ ٩٠.

(٥) البيان والتبيين، لعمرو بن بحر، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، ٣/ ١٤٦.

كما نلحظ في معنى السبيل أنه الطريق السهل، للسير فيها، وقد تكون سهولته من كون السائر فيه نازلا من علو إلى سفل، أو من سيره في اتجاه الريح، أو غير ذينك، حقيقة أو مجازا.

وأما الطريق فقد ورد لفظه ومشتقاته في القرآن إحدى عشرة مرة.

وهو يدل على الوضوح(وقد يكون ذلك الوضوح من كونه مطروقا قبل ذلك أو غير مطروق)، و الارتفاع عن سائر الأرض، والتتابع(أي : مواصلة السائر السير فيه)، وقد يكون في الخير أو الشر. قال ابن فارس : شيء يَعْلُو الْأَرْضَ، فَكَأَنَّهَا قَدْ طُورِقَتْ بِهِ وَخُصِفَتْ بِهِ ...وَيَقُولُونَ : تَطَارَقَتِ الْإِبِلُ، إِذَا جَاءَتْ يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا. وَكَذَلِكَ الطَّرِيقُ، وَهُوَ النَّخْلُ الَّذِي عَلَى صَفٍّ وَاحِدٍ، وَهَذَا تَشْبِيهٌ، كَأَنَّهُ شُبِّهَ بِالطَّرِيقِ فِي تَتَابُعِهِ وَعُلُوِّهِ الْأَرْضَ. قَالَ الْأَعْشَى :

وَمِنْ كُلِّ أَحْوَى كَجِذْعِ الطَّرِيقِ ∴ يَزِينُ الْفِنَاءَ إِذَا مَا صَفَنْ

وذكر الراغب : أن الطريق هو " كل مسلك يسلكه الإنسان في فعلٍ، محموداً كان أو مذموماً "(١)

والطريق : هو السبيل المطروق(٢)، أو هو السبيل الذي يُطرق بالأرجل، أي يُضرب(٣) "

كما جاء على لسان مؤمني الجن قولهم : {إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ} "أي إلى سبيل مطروق، قد مرت عليه الرسل قبله، وإنه ليس بدعا، فاقتضت البلاغة والإعجاز لفظ الطريق؛لأنه فعيل بمعنى مفعول أي : مطروق مشت عليه الرسل والأنبياء قبل، فحقيق على من صدق رسل الله وآمن بهم أن يؤمن به ويصدقه، فذكر الطريق هاهنا إذًا أولى؛لأنه أدخل في باب الدعوة، والتنبيه على تعين اتباعه، والله أعلم" (٤).

وأما الصراط فإنه يدل على أنه واسع، وسهل، ومستقيم، ومسلوك، وموصل إلى الغاية، و يقع في الخير غالبا، ولم يرد في القرآن إلا مفردا، و إليك البيان :

الصراط : الطريق، وأصله بالسين من السرط، وهو اللقم، ولذلك يسمى لقما كأن سالكه يبتلعه، أو يبتلع سالكه، ففي الأزهري(٥) : أكلته المفازة إذا نهكته لسيره فيها، وأكل المفازة إذا قطعها بسهولة، قال أبو تمام(٦) :

رعته الفيافي بعد ما كان حِقبةً ∴ رعاها وماءُ المُزْنِ ينهلُّ ساكبُهْ

وهو أوسع الطرق، ولذلك لا يُجمع في القرآن (في اللغة يمكن أن يجمع مثل كتاب كتب)،

---

(١) المفردات: الراغب الأصبهاني (ص: ٣١٢).

(٢) بصائر ذوي التمييز: الفيروزآبادي (٣/ ٥٠٤).

(٣) المفردات: الراغب (ص: ٣١٢).

(٤) ينظر:بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية، ١/ ٦٩، باختصار.

(٥)نقله الآلوسي في روح المعاني١/ ٧١، وهو في تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، (سرط)١٣/ ١٢٤.

(٦)ينظر:ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي١/ ٢٢٢، تح/ محمد عبده عزام، ط/ ٥، دار المعارف، ط.د.ت، ومعنى البيت:أنه قطعت عليه القفار من الأرض، فهزل بعد ما كان سمينا، فكأنها رعته بعد ما رعى نبتها.

ولم يرد في القرآن إلا مفرداً لأنه يُراد به الإسلام (وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ (الأنعام/ ١٥٣) .

"الصراط هو الطريق السهل قال الشاعر :

خَشَونا أرضَهم بالخيلِ حتى ∴ تركناهم أذلَّ من الصراط

وهو من الذل خلاف الصعوبة، وليس من الذل خلاف العز، والطريق لا يقتضي السهولة، والسبيل اسم يقع على ما يقع عليه الطريق وعلى ما لا يقع عليه الطريق، تقول : سبيل الله وطريق الله ، وتقول : سبيلك أن تفعل كذا، ولا تقول : طريقك أن تفعل به [١] .

وقد يفرق بين السبيل والطريق بأن السبيل أغلب وقوعا في الخير، ولا يكاد اسم الطريق يراد به الخير إلا مقترنا بوصف أو إضافة تخلصه لذلك[٢] .

كقوله تعالى : (يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ)"(الأحقاف/ ٣٠) .

وإنما يأتي الصراط دائمًا موصوفًا ومضافًا يدل على أن هذا طريق الخير وذاك طريق الشر.

إذن الصراط الطريق الواسع، والسبيل الطريق المنبثقة عنها، الطرق المتفرعة عن الصراط لذلك تجمعه سبل الخير، سبل الشر، السبيل عام وفيه معني السعة .

قال ابن القيم رحمه الله : "والصراط : ما جَمَع خمسةَ أوصاف : أنْ يكون طريقًا مستقيمًا، سهلاً، مسلوكًا، واسعًا، موصلاً إلى المقصود؛ فلا تُسمِّي العربُ الطريقَ المُعْوَجَّ : صراطًا، ولا الصعبَ المشق، ولا المسدود غير الموصل، ومَن تأمَّلَ مواردَ الصراط في لسانهم واستعمالهم، تبيَّن له ذلك"[٣]، قال جرير[٤] :

أمير المؤمنين على صراط ∴ إذا اعوج الموارِدُ مستقيم

ولا يخفى تضمُّنُ الصراط المستقيم لهذه الأمور الخمسة؛ فوصفُه بالاستقامة يتضمَّن قربَه؛ لأن الخطَّ المستقيم هو أقربُ خطٍّ فاصل بين نقطتين، وكلما تعوَّج طالَ وبَعُدَ، واستقامتُه تتضمَّن إيصالَه إلى المقصود، ونصبُه لجميع مَن يمُرُّ عليه يستلزمُ سعتَه، وإضافتُه إلى المنعَم عليهم ووصفُه بمخالفةِ صراط أهل الغضب والضلال يستلزمُ تعيُّنَه طريقًا"[٥] .

---

(١) المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، (سبل)٣٩٥، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط/ ١ – ١٤١٢هـ.

(٢) التعريفات للشريف الجرجاني (الطريق: ١٤٥) ، . الكليات للكفوي ٣: ٣٦.

(٣) بدائع الفوائد، لابن القيم(٢/ ١٦).

(٤) ديوانه : ٥٠٧ ، يمدح هشام بن عبد الملك .، والموارد جمع موردة : وهي الطرق إلى الماء يريد الطرق التي يسلكها الناس إلى أغراضهم وحاجاتهم ، كما يسلكون الموارد إلى الماء .

(٥) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٣٣).

وبنوا الصراط على زنة(فِعال)؛لأنه مشتمل على سالكه اشتمال الحَلْق على الشيء المسروط و هذا الوزن كثير في المشتملات على الأشياء كاللِّحاف والخِمار والرِداء والغِطاء والكِتاب [١].

وقال الطبري رحمه الله : "أجمعَت الأمَّةُ من أهل التأويل جميعًا على أنَّ الصراطَ المستقيمَ هو : الطريقُ الواضحُ الذي لا اعوجاج فيه، وكذلك ذلك في لغة جميع العرب"[٢]. فالطريق : هو كل ما يطرقه طارقٌ، معتادًا كان أو غير معتادٍ، والسبيل من الطُّرق : ما هو مُعتادُ السلوكِ، والصراط من السبيل : ما لا التِواء فِيه ولا اعوِجاج، بل يكون على سبيلِ القَصْدِ، فهو أخصُّ منها) [٣]

تأملْ قولَه تعالى : ﴿ وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [النحل/ ٩].

الموضع الثاني وهو نظير السابق ، قال تعالى : (وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً)٣٢.

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وردت الآية الكريمة في سياق مجموعة من الأوامر والنواهي الإلهية المتتابعة، التي تمثل هدايات القرآن للتي هي أقوم، ومن هذه النواهي ما ورد في الآية السابقة لهذه الآية من النهي عن قتل الأولاد خشية الفقر، و في الآية اللاحقة، من النهي عن قتل النفس المحرمة، ثم وقع النهي عن الزنا في هذه الآية بين النهي عن قتلين؛لأنه قتل معنوي للمرأة، وللجنين، وللمجتمع بعد ذلك.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

فقوله : (سبيلا) تمييز[٤] ، وهو نظير الآية السابقة ، و" التقدير : وساء سبيله سبيلا؛ أي لأنه يؤدي إلى النار، والزنا من الكبائر، ولا خلاف فيه وفي قبحه"[٥] .

" يقول تعالى ناهيا عباده عن الزنا وعن مقاربته وهو مخالطة أسبابه ودواعيه : (ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة) أي : ذنبا عظيما، (وساء سبيلا) أي : وبئس طريقا ومسلكا"[٦]

ونلحظ في آية النساء زيادة كلمة (مقتا) والمقت : أشد البغض، و نكاح المقت : أن يتزوج الرجل امرأة أبيه إذا طلقها أو مات عنها، وكان يفعل في الجاهلية، وقد جاءت الكلمة مناسبة تمامًا لموضعها فمن نكح امرأة أبيه فقد أتى بشيء ناقص قبيح مستقبح، والفطر السليمة تبغض نكاح من هي في درجة الأم، وقد حكم الله على الزنا في سورة الإسراء بأنه كان فاحشة و ساء سبيلا، ولكن من نكح امرأة أبيه فإنه يكون قد زاد زيادة مستقبحة تجعله يستحق المقت فجاءت الزيادة لزيادة الفجور، وقد سُئل الرسول صلى الله عليه وسلم : أيّ الذنب أعظم ؟ فقال : (أن تجعل لله نِدّاً وهو خلقك) قلت : ثم

---

(١) ينظر:بدائع الفوائد ٢/ ١٧.

(٢) تفسير الطبري (١/ ١٧٠).

(٣) الكليات؛ لأبي البقاء الكفوي (ص٥١٣).

(٤) ينظر:التبيان للعكبري٢/ ٨١٩.

(٥)تفسير القرطبي١٠/ ٢٥٣.

(٦)تفسير ابن كثير٥/ ٦٦.

أيّ؟ قال : (أن تقتل ولدك من أجل أن يَطْعَمَ معك). قلت : ثم أيّ؟ قال : (أن تُزاني حليلة جارك)[١]؛ذلك لأن حق الجار أكبر وأعظم، فمن زنا بامرأة جاره أسوأ وأحقر، ممن زنى بامرأة أخرى وكلاهما مذنب.

وقد جاء التعبير القرآني في جملة(وساء سبيلا) في قمة المستوى البلاغي، وهناك مستويات أخرى لهذه الجملة، كقولنا مثلا : (وسبيلًا سيئا) من باب عطف الاسم(سبيلا) على الاسم(فاحشة)، ولكن شتان بين التعبيرين، فقولنا : وسبيلا سيئا لا تفيد سوى وصف السبيل بالسوء، وأما جعل السبيل تمييزا فله عدة دلالات منها :

١-تأكيد ما يشتمل عليه الزنا من مفاسد كثيرة[٢]؛حيث إن وقوع(سبيلا) تمييزا وضَّح الإبهام الكائن في جملة(ساء)، كما ذكرت في الآية السابقة.

٢-جعْل الجملة فعلية يفيد تجدد السوء الناشئ عن هذه الفاحشة، والذي ينكشف يوما بعد يوم.

٣-الإشارة إلى خطورة الزنا على الفرد والمجتمع كله، فكونه سبيلا يعني سهولة الوقوع في شِراكِه، وصعوبة الرجوع عنه، لأنه انحدار سهل، ودركات يدفع بعضها بعضا.

٤-الإيحاء بأن سبيل الزنا-والعياذ بالله- يستدرج من يسير فيه، فسالكه مستدرَج، وقدوة سيئة لمن اقتفى أثره.

٥-بيان أنه الأسوء من بين سبل الشر(لأن التمييز بمعنى من)أي : ساء الزنا من سبيل.

٦-فيه زيادة ترهيب وتخويف من القرب من الزنا، فضلًا عن الوقوع فيه، وهذا مستفاد صراحة من النهي عن القرب، وتلميحًا من مجيء التمييز فاصلة لجملة معطوفة على الجملة الواقعة تعليلا للنهي، وبيان ذلك" أنه تعالى نهى عن الزنا فقال : (ولا تقربوا الزنا) قال القفال : إذا قيل للإنسان لا تقربوا هذا، فهذا آكد من أن يقول له لا تفعله، ثم إنه تعالى علل هذا النهي بكونه فاحشة وساء سبيلا"[٣]، " والقرب المنهي عنه هو أقل الملابسة، وهو كناية عن شدة النهي عن ملابسة الزنا، وقريب من هذا المعنى قولهم : ما كاد يفعل"[٤].

وجملة (إنه كان فاحشة) تعليل للنهي عن ملابسته تعليلا مبالغا فيه، من جهات بوصفه بالفاحشة الدال على فعلة بالغة الحد الأقصى في القبح، وبتأكيد ذلك بحرف التوكيد، وبإقحام فعل (كان) المؤذن بأن خبره وصف راسخ مستقر..."وأتبع ذلك بفعل الذم وهو ساء سبيلا.

---

(١) حديث صحيح، رواه البخاري من طريق عبد الله بن مسعود، صحيح البخاري - رقم: ٦٨١١".

(٢) ينظر:التفسير الكبير للرازي٢٠/ ٣٣١.

(٣) ينظر:التفسير الكبير للرازي٢٠/ ٣٣١.

(٤)التحرير والتنوير١٥/ ٩١.

وأخيرا، أشارت الفاصلة هنا الواقعة تمييزا إلى بيان نهاية الطريق السيئة لزيادة التنفير من سلوكه، فإذا كانت هذه هي نهاية ذلك(السبيل)ازداد الخوف و الرعب، واستقبح الفعلَ كلُ ذي لب.

الموضع الثالث : قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا)(النساء/ ٥١).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وردت هذه الآية الكريمة في سياق تعداد بعض جرائم فريق من الذين أوتوا نصيبا من الكتاب، حيث إنهم اشتروا الضلالة، وحرفوا الكلم عن مواضعه، وذكر هنا أنهم يعظمون غير الله تعالى، ويعبدون غيره، ثم يزعمون أنهم أهدى من الذين آمنوا سبيلا.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

فقوله : (سبيلا) تمييز منصوب، عامله(أهدى)[١]، " أي : أقوم دينا، وأرشد طريقة، ...وإيراد النبي صلّى الله عليه وسلّم وأتباعه بعنوان الإيمان ليس من قبل القائلين، بل من جهة الله تعالى تعريفا لهم بالوصف الجميل، وتخطئة لمن رجح عليهم المتصفين بأشنع القبائح"[٢].

ومن دلالة التمييز هنا -بالنظر إلى سياق الآيات، ومراعاة سبب النزول[٣] يتضح أن للتمييز أثرا في زيادة التعجيب من أحوال هؤلاء وأقوالهم؛لأن(سبيلا) عليه مدار الحديث، حيث "قال أبو سفيانَ لكعبٍ : إنك امرُؤٌ تقرأ الكتابَ، وتعلم، ونحن أُميون لا نعلم، فأيُنا أهدى طريقًا؟ نحن أم محمدٌ، فقال : ماذا يقول محمد؟ قال : يأمر بعبادة الله وحدَه، وينهي عن الشرك، قال : وما دينكم؟ قالوا : نحن ولاةُ البيتِ، نسقى الحاج، ونقري الضيفَ، ونفُكّ العانيَ، وذكروا أفعالَهم، فقال : أنتم أهدى سبيلاً"[٤].

ومن دلالته كذلك-تفسير للإبهام الكائن في (أهدى)، فلو قيل (أهدى) من دون التمييز(سبيلا)، لأدى إلى إبهام، قد يفهم منه أنهم يعترفون بهداية المؤمنين، غير أنهم زادوا عليهم في الهداية، وكأن سبيلهم واحد، وهذا غير مراد، فالتمييز يدل على أنهم يريدون انتفاء الهدى عن المؤمنين بالكلية، ،

---

(١)الجدول٥/ ٦١.

(٢)روح المعاني٣/ ٥٤.

(٣) "وذلك أن حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديين خرجا إلى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشًا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أهل الكتاب وأنتم إلى محمد أقرب منا وهو أقرب منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا فهذا إيمانهم بالجبت والطاغوت لأنهم سجدوا للأصنام وأطاعوا إبليس عليه اللعنة فيما فعلوا فقال أبو سفيان أنحن أهدى سبيلاً أم محمد فقال كعب أنتم أهدى سبيلاً". ينظر: تفسير النسفي١/ ٣٦٥.

(٤) ينظر:المرجع السابق ذاته.

يعني : أنهم من طريق مغاير لطريق المؤمنين، ومجيء أفعل التفضيل(أهدى) على سبيل السخرية والاستهزاء، أو المشاكلة لسؤال أبي سفيان(أنحن أهدى سبيلاً أم محمد؟).

الموضع الرابع : قال تعالى : (وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا) (الإسراء/ ٧٢)، ونظيرتها في الفرقان/ ٣٤.

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وردت الآية الكريمة في سياق تعداد بعض النعم على بني آدم، وتكريمهم وحملهم برا وبحرا، ورزقهم من الطيبات، وتفضيلهم على كثير ممن خلق تفضيلا، وتذكيرهم بالحساب يوم القيامة، فمنهم من يأخذ كتابه بيمينه، ومنهم من يأخذه بشماله من وراء ظهره؛وذلك لأنه عَمِيَ عن رؤية الحق في الدنيا، فهو في الآخرة أشد عمى وأضل طريقا.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

فقوله : (سبيلا) تمييز، "وأولى الأقوال في ذلك-عند الطبري- بالصواب، قول من قال : معنى ذلك : ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن حجج الله على أنه المنفرد بخلقها وتدبيرها، وتصريف ما فيه، فهو في أمر الآخرة التي لم يرها ولم يعاينها، وفيما هو كائن فيها أعمى وأضلّ سبيلا أي : وأضلّ طريقا منه في أمر الدنيا التي قد عاينها ورآها"(١).

وقال العكبري : " قَوْلُهُ تَعَالَى : (أَعْمَى) : الْأُولَى بِمَعْنَى فَاعِلٍ. وَفِي الثَّانِيَةِ وَجْهَانِ ; أَحَدُهُمَا : كَذَلِكَ; أَيْ مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا عَمِيًّا عَنْ حُجَّتِهِ، فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ كَذَلِكَ وَالثَّانِي : هِيَ أَفْعَلُ الَّتِي تَقْتَضِي «مِنْ» وَلِذَلِكَ قَالَ : «وَأَضَلُّ» . وَأَمَالَ أَبُو عَمْرٍو الْأُولَى دُونَ الثَّانِيَةِ ; لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّ الثَّانِيَةَ تَقْتَضِي «مِنْ» فَكَأَنَّ الْأَلِفَ وَسْطَ الْكَلِمَةِ تُمَثِّلُ أَعْمَالَهُمْ"(٢).فهو من عمى القلب، ولو كان من عمى العين لكان يقول : فهو في الآخرة أشد عمى؛لأن عمى العين شيء ثابت، كاليد والرجل، فلا تعجب منه إلا بأشد أو نحوه من الثلاثي، وأفعل التفضيل يجري مجرى التعجب، وقد حكى بعض الكوفيين : (ما أعماه)، و(ما أعوره)، وهو شاذ لا يقاس عليه(٣)

ومن دلالات التمييز هنا ترجيح أن(أعمى) الثانية، أفعل تفضيل؛لكون (أضل) كذلك، وهو العامل في (سبيلا) كما قال الآلوسي : "وقوى هذا التأويل بعطف قوله تعالى : وَأَضَلُّ سَبِيلًا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وعدم إمكان تدارك ما فات"(٤).

---

(١) تفسير الطبري١٧/ ٥٠٥

(٢)التبيان للعكبري٢/ ٨٢٩.

(٣) ينظر:البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري٢/ ٩٤، باختصار.

(٤) روح المعاني٨/ ١١٧.

"ولم يقل : أشد عمى، كما يقولونه في الخلق اللازمة لحالة واحدة من العور والحمرة والسواد ونحوها، لأن هذا مراد به عمى القلب الذي من شأنه التزايد والحدوث في كل لحظة شيئًا بعد شيء، فخالف"(١)، "وقال بعض المحققين : إنه لما أريد افتراق معنى الأعمى في الموضعين افترق اللفظان إمالة وتفخيما، وفخم الثاني لأن ما يدل على زيادة المعنى أولى بالتفخيم"(٢).

الموضع الخامس : (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا)(الإسراء/ ٨٤).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وردت هذه الآية الكريمة لبيان طبيعة الإنسان-إلا ما رحم ربك-أن إغداق النعم عليه ينسيه المنعم، بل ويعرض عنه، وإذا مسه الشر استغاث بربه، وكل نوع من الناس يعمل على ما يليق به من الأحوال، وربكم أعلم بمن يصلح للهداية، ومن لا يصلح.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

فقوله : (سبيلا) تمييز(٣)، يقول عزّ وجلّ لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للناس : كلكم يعمل على شاكلته : على ناحيته وطريقته فَرَبُّكُمْ أعلم بمن هو منكم أهدى طريقا إلى الحقّ من غيره(٤).

ومن دلالات التمييز هنا إحاطة علم الله تعالى وهو كلام جامع لتعليم الناس بعموم علم الله، والترغيب للمؤمنين، والإنذار للمشركين مع تشكيكهم في أحقية دينهم لعلهم ينظرون، كقوله : { وإنا أو إياكم لعلى هدى } الآية [سبأ/ ٢٤](٥) .

المسألة الثانية : دلالة لفظي(تأويلا وتفسيرا) في ختام الآيات، وأثر الإعراب في المعنى :

الموضع الأول ونظيره : قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) [سورة النساء : ٥٩] .، ونظيرتها في الإسراء(٣٥).

المعنى السياقي للآية الكريمة : وردت هذه الآية الكريمة في سياق الأمر بأداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بالعدل، وطاعة الله ورسوله، وتحكيم شرعه، ولزوم الرجوع إليه عند التنازع، فهو من دلائل الإيمان، ذلك خير لكم في الدنيا، وأحسن في العاقبة.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

---

(١) نظم الدرر ١١/ ٤٧٨.

(٢) روح المعاني روح المعاني٨/ ١١٧.

(٣)الجدول ١٥/ ١٠٤.

(٤) ينظر:تفسير الطبري١٧/ ٥٤٠، باختصار.

(٥) ينظر:المرجع السابق ذاته، بتصرف.

فقوله : تأويلا : تمييز، التَّأْوِيلُ : مَصْدَرُ أَوَّلَ الشَّيْءَ إِذَا أَرْجَعَهُ، مِنْ آل يَؤُولُ إِذَا رَجَعَ، وَهُوَ بِمَعْنَى أَحْسَنُ رَدًّا وَصَرْفًا"[١]، أي : إن حدث تنازع بينكم فعليكم بالرجوع إلى الكتاب والسنة، فذلك خير من التحارب والاختلاف، وأحْسَنُ تأْويلاً لَكُم، أَي أَحسنُ عاقبةً لكم، ومرجعا، أو أحسن من تأويلِكم[٢].

ويجوز أن يكون مِنْ أُلْتُ الشَّيْءَ إِذَا جَمَعْتُهُ وَأَصْلَحْتُهُ، فَالتَّأْوِيلُ جَمْعُ مَعَانِي أَلْفَاظٍ أَشْكَلَتْ بِلَفْظٍ لَا إِشْكَالَ فِيهِ، يُقَالُ : أَوَّلَ اللهُ عَلَيْكَ أَمْرَكَ أَيْ جَمَعَهُ[٣]، ومن دلالات التمييز -هنا-ما يأتي :

١-أن الاحتكام إلى الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- في المنازعات هو الفيصل في الإيمان الحقيقي، كما أن فاصلة الآية المصدرة بنداء المؤمنين أشارت إلى خيرية ذلك وأفضليته .

٢-سعة المعنى في كلمة (تأويلا)؛حيث إنها تفسر بالآتي :

أ-العاقبة يعني ما يؤول إليه أمرهم في الدنيا والآخرة إنهم ردوا ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله.

ب-المرجع والرد والصرف، يعني الاحتكام إلى القرآن والسنة.

ج-التفسير أو قريب من معناه، وهذه المعاني متناسقة مع سياق الآية الكريمة.

الموضع الثاني : و هو نظير السابق قوله عز من قائل : (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) [سورة الإسراء : ٣٥].

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وردت هذه الآية الكريمة في سياق مجموعة من الأوامر والنواهي الإلهية، وفيها الأمر بإيفاء الكيل والميزان بالعدل، من غير ظلم أو هضم حق، ذلك خير لكم في الدنيا، وأحسن في الآخرة.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

وقوله (وأحسن تأويلا)تمييز، أي : وأحسن مردودا عليكم؛ لأن الله تبارك وتعالى يرضى بذلك عليكم، فيحسن لكم عليه الجزاء[٤]، أو أن الوفاء أحسن من النقصانِ، ويجوز أن يكون المعنى أحسن ما يؤول إليه أمر صاحب الوفاء[٥].

والقسطاس : كل ميزان صغير أو كبير من موازين الدراهم وغيرها وقيل هو(القَرَسْطُون)[٦] أي القِبَّان المستقيم المعتدل(ذلك خير) في الدنيا (وأحسن تأويلا) عاقبة.

---

(١) التحرير والتنوير٥/ ١٠١.

(٢) ينظر:معاني القرآن وإعرابه للزجاج٢/ ٦٨، بتصرف، وهو منصوب على البيان، كذا عند النحاس١/ ٢٢٢.

(٣) ينظر:تفسير القرطبي٥/ ٢٦٣، باختصار.

(٤) ينظر:تفسير الطبري١٧/ ٤٤٥، باختصار.

(٥)معاني القرآن وإعرابه للزجاج٣/ ٢٣٩.

(٦) قرسطون:كلمة معربة، أصلها قاريستيون في اليونانية التي تعني الميزان.

ومعنى كون ذلك أحسن تأويلا : أن النظر إذا جال في منافع التطفيف في الكيل والوزن وفي مضار الإيفاء فيهما ثم عاد فجال في مضار التطفيف، ومنافع الإيفاء استقر وآل إلى أن الإيفاء بهما خير من التطفيف ; لأن التطفيف يعود على المطفف باقتناء جزء قليل من المال ويكسبه الكراهية، والذم عند الناس، وغضب الله، والسحت في ماله مع احتقار نفسه في نفسه، والإيفاء بعكس ذلك يكسبه ميل الناس إليه، ورضى الله عنه، ورضاه عن نفسه والبركة في ماله"[١] .وكأن الطاهر ابن عاشور-هنا- يذهب بالتأويل إلى معناه المشهور المقارب للتفسير.

والظاهر أنه بمعنى عاقبة الإيفاء في الدنيا والآخرة، كقوله : (وخير مردا) [مريم : ٧٦] (وخير عقبا) [الكهف : ٤٤](وخير أملا) [الكهف : ٤٦]

"والفارق بين من يلتزم إيفاء الكيل والميزان تجارة، ومن يلتزمه اعتقادا.. أن هذا يحقق أهداف ذاك; ويزيد عليه نظافة القلب والتطلع في نشاطه العملي إلى آفاق أعلى من الأرض، وأوسع في تصور الحياة وتذوقها.

وهكذا يحقق الإسلام دائما أهداف الحياة العملية وهو ماض في طريقه إلى آفاقه الوضيئة وآماده البعيدة، ومجالاته الرحيبة"[٢].

ومن دلالات التمييز الإشارة إلى حسن العاقبة في الدنيا والآخرة لمن أوفى الكيل والميزان بالقسط، و من جعل مرجعيته(القسطاس المستقيم) في أموره كلها أحسن الله مآله، فالجزاء من جنس العمل.

الموضع الثالث: قوله تعالى : (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)(الفرقان/ ٣٣).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وردت هذه الآية الكريمة في سياق قول الكافرين : هلا أنزل على محمد القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة، وجواب ذلك أنه نزله منجما ليثبت به فؤاد النبي ﷺ وليتدبروه.

ثم أعقب ذلك بهذه الآية التي توضح دفاع الله تعالى عن نبيهﷺ ، وتلقينه بالحجج الدامغة، فكلما أتاه الكافرون بشبهة جاءهم الجواب، وكلما ضربوا له مثلا جاءهم بالحق وأحسن بيانا منهم.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

(وتفسيرا) تمييز[٣]، أي : "ولا يأتيك يا محمد هؤلاء المشركون بمثل يضربونه إلا جئناك من الحق بما نبطل به ما جاءوا به وأحسن منه تفسيرًا"[٤].

---

(١) ينظر:التحرير والتنوير١٥/ ٩٩ بتصرف .

(٢) في ظلال القرآن٤/ ٢٢٢٤.

(٣)إعراب القرآن وبيانه للدرويش٧/ ١٠.

(٤)تفسير الطبري١٩/ ٢٦٧.

"والتفسير يشمل بيان معاني العبارات، وبيان أسرارها التي وراء المعاني المباشرة، كما يشمل بيان أسرار جريان الأمور بهيئة دون غيرها"[١]، والمراد هنا كشف الحجة والدليل[٢]

ومن دلالات التمييز هنا تثبيت النبي-صلى الله عليه وسلم-بالحجة والبرهان، والرد على شبه الأعداء وإبطالها -مهما يكن لها من وقع في قلوب السامعين-فقوله : (إلا جئناك بالحق) وحده لا يكفي في رد كيدهم، بل لابد من جواب واضح(وأحسن تفسيرا) منهم لإبطال زعمهم، وسحر كلامهم.

ومعنى كونِه أحسنَ أنه أحقُّ في الاستدلال، فالتفضيل للمبالغة؛إذ ليس في حجتهم حُسْنٌ، أو يراد بالحسن ما يبدو في بَهْرجة سفسطتهم وشبههم، فيجيء الكشف عن الحق أحسن وقعًا في نفوس السامعين من مغالطاتهم، فيكون التفضيل بهذا الوجه على حقيقته، فهذه نكتة من دقائق الاستعمال، ودقائق التنزيل[٣].

المسألة الثالثة : دلالة لفظي(حديثا وقِيلا) في ختام الآيات، وأثر الإعراب في المعنى :

الموضع الأول : قال تعالى : (اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا)(النساء/ ٨٧).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت هذه الآية الكريمة في سياق الحض على طاعة الله ورسوله، و فضح فريق من المنافقين الموجودين في صفوف المسلمين، ظاهرهم الطاعة، وحقيقتهم المكر والخداع وموالاة الكفار، ينشرون الأخبار دون تثبت، أو تبين، ثم الأمر بالقتال في سبيل الله ، وتحريض المؤمنين عليه، ثم أمرهم بالشفاعة الحسنة، ونهاهم عن الشفاعة السيئة، وعلمهم أدب اللقاء وإلقاء السلام، ثم بين للناس جميعا وحدانيته مؤكدا على جمعهم يوم القيامة، وزاده تأكيدا بجملتين، الأولى : لا ريب فيه، والأخرى : ومن أصدق من الله حديثا، أي لا أحد.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

فقوله(حديثا)تمييز[٤]، " نصب على البيان والمعنى لا أحد أصدق من الله .

وقرأ حمزة والكسائي " ومن أزدق " بالزاي، الباقون : بالصاد وأصله الصاد إلا أنه لقرب مخرجها جعل مكانها زايا"[٥] .

---

(١) المعجم الاشتقاقي (فسر)٣/ ١٦٧٣.

(٢) التحرير والتنوير١٩/ ٢٣.

(٣) ينظر:المرجع السابق ذاته.

(٤)التبيان للعكبري١/ ٣٧٧.

(٥)تفسير القرطبي٥/ ٣٠٥.

والمعنى : وأي ناطق أصدق من الله حديثًا؟ وذلك أن الكاذب إنما يكذب ليجتلب بكذبه إلى نفسه نفعًا، أو يدفع به عنها ضرًّا. والله تعالى ذكره خالق الضر والنفع[١]

والاستفهام للإنكار والنفي أى : لا يوجد في هذا الوجود من هو أصدق من الله- تعالى في حديثه وخبره ووعده ووعيده[٢] .

ومن دلالات التمييز هنا التنبيه على قدرة الله تعالى في تحقيق وعده ووعيده، والتعريض بكذب المنافقين في حديثهم، وضعفهم عن تحقيق مآربهم ومكرهم، وهذا يناسبه (الحديث) لا القول؛لأن الحديث بمعنى الخبر الذي يكشف عما في النفس، .فقوله (حديثا) تفسير للإبهام الكائن في (أصدق) ، وهو في الظاهر لا يحتاج إلى تفسير؛إذ المتعارف عليه أن الصدق أو الكذب لا يكونان إلا في الأخبار، ولكنه حديثُ مَن عظمت قدرتُه، وجلت حكمتُه، فلم يختلف عن الواقع قِيدَ أُنملة.فثبت –من هذا المعنى- حاجة العامل (أصدق)إلى تفسير يبين حقيقته، و يكشف عن معناه، و يفضح ادعاء المنافقين، وكذب المرجفين.

وتسمية القرآن حديثا "يراد به في النزول، وتلاوة جبريل على النبي-صلى الله عليه وسلم- فإنه كان ينزل سورة بعد سورة، وآية بعد آية، لا أن القرآن مخلوق"[٣].

الموضع الثاني : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا)(النساء/ ١٢٢).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وردت في سياق الحديث عن المؤمنين، الذين عملوا الصالحات، وبيان ما أعده الله لهم من النعيم المقيم، وأكد ذلك بجملتين : الأولى : وعد الله حقا، والأخرى : ومن أصدق من الله قيلا، أي : لا أحد.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

فقوله(قيلا) تمييز[٤]، أي : لا أحد أصدق منه قيلا! فكيف تتركون العمل بما وعدكم به ربكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا، وتكفرون به وتخالفون أمره، وأنتم تعلمون أنه لا أحد أصدق منه قيلا وتعملون بما يأمركم به الشيطان رجاءً لإدراك ما يعدُكم من عداته الكاذبة وأمانيه الباطلة، وقد علمتم أن عداته غرورٌ لا صحة لها ولا حقيقة، وتتخذونه وليًّا من دون الله، وتتركون أن تطيعوا الله فيما يأمركم به وينهاكم عنه، فتكونوا له أولياء؟ [٥].

---

(١) ينظر:تفسير الطبري٨/ ٥٩٢، ٥٩٣.

(٢) التفسير الوسيط للطنطاوي ٨/ ٥٩٣.

(٣) تفسير القرطبي١١/ ٢٦٧.

(٤)الجدول٥/ ١٧٩.

(٥) ينظر:تفسير الطبري٩/ ٢٢٨، بتصرف.

ونلحظ أن (القَول) قد ذكر كثيرا في القرآن الكريم، وهو عامٌّ في الخير والشر جميعا، وهو أعم من الحديث، وأما(القِيل) فقد ذكر في أربعة مواضع[١]، وقد قال كثير من العلماء-وعلى رأسهم الطبري-إن القيل والقول واحد[٢].

وأرى من خلال سياقات القرآن أنه يستعمل (القيل) في القول الجميل، السهل، الحق، المحبب إلى النفوس.[٣]، و قد جاء القيل (في مواضعه الأربعة) منسوبا إلى الله، و إلى الرسول-ﷺ-، وإلى السابقين مِن أهل الجنة، وإلى مَن يقوم الليل.

وقد يكون (القيل) اسما لا مصدرا، بمعنى اسم المفعول ، فهو فِعل بمعنى مفعول كذِبح بمعنى مذبوح، وحِمل بمعنى محمول، ولا خلاف في أن(القول) مصدر قال يقول.

ومن دلالات التمييز هنا الإشارة إلى خاصية الوعد الجميل للمؤمنين ؛ف(القيل) مصدرا كان أو اسمَ مفعولٍ لم يأت في القرآن إلا في الخير، ويتبين هذا بالنظر إلى اختلاف التمييز في قوله : (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا)، وقوله : (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا)، حيث إن السياق هناك عن المنافقين، والسياق هنا عن المؤمنين.

المسألة الرابعة : **دلالة ألفاظ** (**مصيرا**، **ومنقلبا**، **وعقبا**، **وأملا ومردا**)، **وأثرها في المعنى**.

اللفظ الأول ونظائره : قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)(النساء/ ٩٧) ونظائره في النساء/ ١١٥، والفتح/ ٦.

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت الآية في سياق الحديث عن الهجرة في سبيل الله، وأن ناسا ظلوا في أرض الكفر، ولم يقيموا شرائع دينهم، وقد كان في قدرتهم أن يهاجروا إلى أرض الإسلام، ولكنهم لم يفعلوا، فهذه حالتهم عند الموت، ومأواهم جهنم وساءت مصيرا.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

(مصيرا) تمييز منصوب، والمخصوص بالذم محذوف تقديره هي أي : جهنم[٤]

يَعْنِي : " وَسَاءَتْ جَهَنَّمُ لِأَهْلِهَا الَّذِينَ صَارُوا إِلَيْهَا مَصِيرًا وَمَسْكَنًا وَمَأْوًى "[٥]

---

(١) في سور"النساء، والزخرف والواقعة والمزمل".

(٢) تفسير الطبري٩/ ٢٢٨.

(٣) وقد أفردت لذلك بحثا بعنوان:(معطيات الدلالة القرآنية في الفرق بين القيل و القول).

(٤) ينظر:الجدول في إعراب القرآن٥/ ١٤٤.

(٥) تفسير الطبري٧/ ٣٨٠.

ومن دلالات التمييز هنا الإشارة إلى أن سوء تحولهم في الدنيا تسبب في سوء مصيرهم في جهنم؛إذ المصير هو المآل والمنتهى، سواء اعتَدَدْنا بخصوص السبب، أم بعموم اللفظ، فقد روى البخاري في التفسير والفتن عن ابن عباس- رضي الله تعالى عنهما- أن ناسًا من المسلمين(أي في الظاهر) كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين، على عهد رسول الله ﷺ، يأتي السهم يرمي به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل، فأنزل الله {إن الذين توفاهم} [النساء/ ٩٧]"[١].

الموضع الثاني : و هو نظير السابق في السورة ذاتها قوله تعالى :

(وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (النساء/ ١١٥).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن فريق من المشركين، عادَوا رسول الله، مع أنهم علموا الحق، و لكنهم اتبعوا سبيل الضلال، فتوعدهم الله بالعذاب في جهنم وساءت مرجعا ومآلا.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

وقوله : (وَساءَتْ مَصِيراً) نصب على البيان[٢]، أي : مرجعا له ومآلا، وهذا الوعيد المرتب على الشقاق ومخالفة المؤمنين مراتب لا يحصيها إلا الله بحسب حالة الذنب صغرا وكبرا، فمنه ما يخلد في النار ويوجب جميع الخذلان. ومنه ما هو دون ذلك[٣].

ومن دلالات التمييز هنا التنبيه على أن الجزاء من جنس العمل، فالتعبير ب(مصيرا) يناسب اتباعهم سبيلا غير سبيل المؤمنين؛لاعتقادهم أن في ذلك خيرا لهم ونفعا.

الموضع الثالث : و هو نظير السابق في سورة الفتح قوله تعالى : (وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)(الفتح/ ٦).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وردت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن نتائج النصر والفتح، و تجلية الساحة، ليظهر كل فريق على حقيقته، وينقسم الناس إلى مؤمن وكافر ومنافق، فأما المؤمنون والمؤمنات فيدخلهم ربهم في رحمته و جنته، وأما المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات، فقد ظنوا بالله ظن السوء، فجزاهم به ما يستحقون من غضب الله ولعنته، وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا.

---

(١) ينظر: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، برقم(٤٣٤٣)، وأورده في باب (من كره أن يكثر سواد الفتن والظلم) برقم ٦٧٠٩.

(٢)إعراب القرآن للنحاس١/ ٢٣٨.

(٣) ينظر: تفسير السعدي١/ ٢٠٢.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

فقوله(مصيرا) تمييز، والمعنى"وساءت جهنم منزلا يصير إليه هؤلاء المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات"[١] .

ونلحظ في الآية الأولى التعبير ب(مأواهم جهنم) لمناسبة إيوائهم إلى المشركين، وفي الآية الثانية زيادة تنكيل وعذاب، في قوله : (نوله ما تولى ونصله جهنم)؛لِمَا كان منهم من مشاقة الرسول ومخالفة المؤمنين، كما نلحظ في الآية الأخيرة كثرة العقوبات، عن الآيتين السابقتين، وعمومها للمنافقين والمشركين ذكورا وإناثا، يقول البقاعي :

"ولما قرر ما لهم في الدارين، وكان قد يظن أنه يخص الدنيا فلا يوجب عذاب الآخرة، أتبعه بما يخصها فقال : (وأعد) أي : هيأ الآن لهم جهنم، تلقاهم بالعبوسة والغيظ والزفير والتجهم، كما كانوا يتجهمون عباد الله مع ما فيها من العذاب بالحر والبرد والإحراق وغير ذلك من أنواع المشاق.

ولما كان التقدير : فساءت معدا، عطف عليه قوله : وساءت مصيرا"[٢]

ومن دلالات التمييز هنا قطع آمالهم في النجاة أو التخفيف عنهم؛إذ أن جهنم-والعياذ بالله- مصيرهم السيئ ونهاية أمرهم، "لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها".

اللفظ الثاني : (منقلبا) في قوله تعالى : (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا) (الكهف/ ٣٦).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت هذه الآية الكريمة في سياق محاورة صاحب الجنتين(الكافر) صاحبه المؤمن، حيث أنكر البعث، وافترض فرضا أنه لو بعث فسوف يجد جنة خيرا من جنته في الدنيا، وهذا غرور.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

اختلفوا في إعراب (منقلبا)، والراجح أنه تمييز[٣]، وهو اسم مكان من فعل انقلب الخماسيّ، وزنه مُنْفَعل بضمّ الميم وفتح العين[٤]، وقيل : مفعول، (أجدن)، وخيرا حال (وأصله صفة لمنقلب فلما تقدمت عليها صارت حالا)أي : منقلبا خيرا من منقلب هذه الدنيا"[٥].

والمعنى : "لأجدن خيرا من جنتي هذه عند الله إن رددت إليه مرجعا ومردا"[٦].

---

(١)تفسير الطبري٢٢/ ٢٠٥.

(٢) ينظر:نظم الدرر١٨/ ٢٨٩ باختصار.

(٣)ينظر:تفسير الرازي٢١/ ٤٦٣.

(٤) ينظر:الجدول١٥/ ١٨٦.

(٥) ينظر:إعراب القرآن وبيانه٥/ ٦٠٠، وإعراب الدعاس٢/ ٢١٨.

(٦) تفسير الطبري١٨/ ٢٢.

والتمييز هنا يؤكدعلى شك هذا الكافر في الآخرة والبعث؛إذ أن وقوعه في فاصلة الآية يشير إلى تعلق قلبه بغيره مما تقدم من قول (خيرا)، و(منها)، فلو قدم لكان معمولا للفعل-دون خلاف-، كما أن السياق يدل على ذلك، وألفاظ الشك وأدواته ترشحه.

يقول الرازي : " إِنَّ الْإِنْسَانَ الْأَوَّلَ قَالَ : وَما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً وَهَذَا الثَّانِي كَفَّرَهُ حَيْثُ قَالَ : أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الشَّاكَّ فِي حُصُولِ الْبَعْثِ كَافِرٌ"(١).

وأما لفظا(عقبا)، و(أملا) فقد سبق الحديث عنهما عند تعدد التمييز في ختام الآية.

المسألة الخامسة دلالة لفظي(قرينا ورفيقا)وأثر الإعراب في المعنى :

الموضع الأول(قرينا) : قال تعالى : (وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا)(النساء/ ٣٨).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وردت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن صنفين من الناس كلاهما سيء، الأولون : الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل، ويكتمون ما آتاهم الله من فضله، وهؤلاء في جهنم، والآخرون : الذين ينفقون رياء وسمعة، ولا يقصدون وجه الله؛إذ أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، فهؤلاء أضلهم الشيطان، وسول لهم سوء أعمالهم، فساء الشيطان لهم قرينا.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

أي : فساء هو، والضمير عائد على "مَن"أو على الشيطان، و(قرينًا) تمييز(٢)، و(ساء)هنا منقولة من باب(نعم وبئس)، ففاعلها والمخصوص بعدها بالذم مثل فاعل (بئس) ومخصوصها، والتقدير : فساء الشيطان والقرين"(٣).

وقوله : فساء قرينا" جواب الشرط، والضمير المستتر في " ساء " : إن كان عائدا إلى الشيطان فـ" ساء " بمعنى بئس، والضمير فاعلها، و"قرينا" تمييز للضمير، أي : فساء قرينا له، ليحصل الربط بين الشرط وجوابه، ويجوز أن تبقى (ساء) على أصلها ضد حسُن، وترفع ضميرا عائدا على (من) ويكون (قرينا) تمييزَ نسبة، أي : فساء من كان الشيطان قرينه من جهة القرين، والمقصود على كلا الاحتمالين سوء حال من كان الشيطان له قرينا بإثبات سوء قرينه؛إذ المرء يعرف بقرينه(٤).

---

(١) تفسير الرازي، ٢١/ ٤٦٤.

(٢)وذكر البغوي في تفسيره٢/ ٢١٤، أنه منصوب على التمييز ، وقيل على القطع بإلقاء الألف واللام، كَمَا تَقُولُ: نِعْمَ رَجُلًا عَبْدُ اللهِ، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: "بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا" (الْكَهْفِ -٥٠) "سَاءَ مَثَلًا" (الْأَعْرَافِ -١٧٧) .وقد ذكره الخليل في كتابه الجمل في النحو.

(٣)التبيان للعكبري١/ ٣٥٧.

(٤) ينظر:التحرير والتنوير ٥/ ٥٤، باختصار.

والمعنى : ومن يكن الشيطان له خليلا وصاحبا، يعمل بطاعته، ويتبع أمره، ويترك أمر الله في إنفاقه ماله رئاء الناس في غير طاعته، وجحوده وحدانية الله والبعث بعد الموت فساء الشيطان قرينا. (١)

والغرض من هذه الجملة التنبيه على أن الشيطان قرينهم، فحملهم على ذلك وزينه لهم، وجوز أن يكون وعيدا لهم بأن يقرن بهم الشيطان يوم القيامة في النار فيتلاعنان ويتباغضان وتقوم لهم الحسرة على ساق.(٢) ، ومن دلالة التمييز هنا ما يأتي :

١-التهويل من سوء حال من كان الشيطان له قرينا، وذلك عن طريق ذم القرين، سواء جعلت(قرينا) تمييزا للضمير المستتر في(ساء)، وتكون بمعنى(بئس)، أم جعلته تمييزا للنسبة، أي : للجملة، وتكون(ساء) ضد حسُن.

٢-الإشارة إلى عظم أثر القرين في قرينه، إن سيئا فسيئ، وإن حسنا فحسن، وهذا مستفاد من :

(أ)سياق الآية الكريمة"إشارة إلى أن قرناء السوء يفسدون الأخلاق : لأن عدوى الأخلاق تسرى بالمجاورة، كما تسرى عدوى الأمراض البدنية.

والمقصود من الجملة الكريمة نهى الناس عن طاعة شياطين الإنس والجن الذين يحرضون على ارتكاب الفواحش والقبائح، ويزينون لأتباعهم الشرور والآثام(٣).

(ب)وقوع جملة(فساء قرينا)جوابا للشرط، وكان المتوقع –في غير القرآن–أن يكون الجواب واقعا عليه هو لا على قرينه، كأن يقال : ضل وخسر–مثلا–، ولكنه اكتفى بما كان سببا في ضلاله وخيبته وخسرانه وعذابه؛للإيجاز، وللتنبيه على ما ذكرت.

(ج)مجيء(قرينا) خبرا ل(يكن)، ثم مجيئُه تمييزا .

(د) مادة (ق ر ن) تدل على (بزوغ نظيرين فأكثر مع ارتفاع أو نحوه)(٤)، فالقرين هنا الشيطان المقرون بالإنسان لايفارقه، كقرنَي الثور أو الكبش أو نحوهما.

(هـ)صيغة(فعيل)، والقرين : المقارن، أي الصاحب والخليل وهو فعيل(بمعنى"مفاعل"كخليط ومخالط) من الإقران(٥).

الموضع الثاني(رفيقا) : –قوله تعالى : (وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا)(النساء/ ٦٩).

---

(١) ينظر:تفسير الطبري٨/ ٣٥٨.بتصرف.

(٢) ينظر:تفسير روح المعاني٣/ ٣٠، بتصرف.

(٣) ينظر:التفسير الوسيط للطنطاوي٣/ ١٥١.

(٤) هذا اجتهاد مني؛وقد أفدت أصله من كلام أستاذنا الدكتور جبل(رحمه الله) في معجمه ٤/ .وينظر كلام ابن فارس في المقاييس(قرن)٥/ ٧٦.

(٥) ينظر: تفسير القرطبي٥/ ١٩٤، بتصرف.

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وردت هذه الآية الكريمة في سياق الحض على طاعة الله ورسوله، سواء في القتال في سبيل الله، أم في غيره، وجاءت الآية لتدل على منزلة الطائعين، وأنهم مع المنعَم عليهم من أشراف الناس، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

التمييز وربط دلالته بالمعنى : في نصب (رفيقًا) وجهان :

أحدهما : أنه تمييز، وقد ذهب إلى ذلك كثير[١]، وهذا القول أولى بالصواب، "[٢] ويراد به هاهنا الجمع ، والآخر : أنه حال، وهو واحد في موضع الجمع، أي رفقاء[٣] .

يعني : وحسن، هؤلاء الذين وصفهم، رفقاء في الجنة"،

و"رفيقًا" إذا انتصب على التمييز فيحتمل ألا يكون منقولاً، فيجوز دخول(من)عليه، ويكون هو المميز، و يحتمل أن يكون منقولاً من الفاعل، فلا يكون هو المميز، والتقدير : أحسن رفيق أولئك، فلا تدخل(من)عليه"[٤]، ومعناه : أي ونعمت رفقة هؤلاء وصحبتهم. وحسن رفيق أولئك الأبرار.

ومن دلالات التمييز هنا :

١-حسن رفقة أولئك المُصْطَفَينَ من عباده.

٢-المبالغة في مدحهم والثناء عليهم، فلا تحسن الصحبة إلا مع الأحسن.

٣-تشوق النفس إلى معرفة أولئك الرفقة الطيبة، والسير على منهجهم ومنوالهم.

المسألة السادسة : دلالة لفظي(عملا وأعمالا)، وأثر الإعراب في المعنى.

الموضع الأول:قوله: (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) (الكهف/ ٧)،

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت هذه الآية الكريمة سابعة بعد مطلع سورة الكهف، حيث بدأت بتوجيه المتلقي إلى نعمة إنزال القرآن على عبده محمد ﷺ، وهذه نعمة تستوجب الحمد، ثم بيان أثر القرآن في الناس، بحسب أحوالهم، من بشارة المؤمنين، وإنذار الذين يزعمون أن لله تعالى ولدا، كبرت كلمة تخرج من أفواههم، ثم يلتفت إلى النبيﷺ فيعزيه على حزنه من أجل كفر قومه، و يوصيه بألا يحزن، ثم يبين حقيقة ما على الأرض من زينة، واختبار الناس فيها؛ليظهر أيهم أخلص في العبادة وأتقن في العمل.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

---

(١) ينظر:التبيان للعكبري١/ ٣٧١، الجدول٥/ ٨٥، إعراب القرآن وبيانه٢/ ٢٥٥.

(٢) تفسير الطبري٨/ ٥٣٣.

(٣) ينظر:التبيان ١/ ٣٧١.

(٤)البحر المحيط ٣:٢٨٨، ٢٨٩.

فقوله : (عملا) تمييز[١] أي : " لنختبر عبادنا أيهم أترك لها وأتبع لأمرنا ونهينا وأعمل فيها بطاعتنا"[٢] .ومن دلالات التمييز التركيز على أمرين :

الأول : قوله : (أحسن)، وهو العامل في التمييز، إشارة إلى قضية إحسان العمل بشرطيه المعروفين (الإخلاص، والاتباع)، والآخر : قوله : (عملا)، وهو التمييز، إشارة قوية إلى التركيز على قضية العمل، وهنا يظهر للتمييز دوره في تفسير الإبهام الكائن في العامل، وأهميته في فاصلة الآية الكريمة؛فليس المدار على المال أو الجاه أو القول أو العلم، وإنما المدار على أفضلية الإحسان في العمل، ولما كان المدار على النية والمتابعة، أفرد(عملا)، وإن عني به جميع الأعمال.

الموضع الثاني(أعمالا) : في قوله تعالى : : (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا)(الكهف/ ١٠٣).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت هذه الآية الكريمة بعد الانتهاء من القصص الواردة في سورة الكهف، وآخرها قصة ذي القرنين، وبنائه سد يأجوج ومأجوج، وفي سياق الحديث عن النفخ في الصور، وعرض جهنم في الموقف للكافرين الذين عميت أعينهم عن رؤية الحق وسماع الذكر، وإعداد جهنم للكافرين نزلا، ثم التفت إلى النبيﷺ وقال له : قل لهم يا محمد هل أنبئكم بأخسر الناس أعمالا؟!

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

وأعمالا تمييز، وجمع التمييز-وهو أصيل في الإفراد-لمشاكلة المميَّز، وللإيذان بأن خسرانهم إنما كان من جهات شتى لا من جهة واحدة[٣]، بعكس الآية السابقة.

أي : "لأنهم خسروا في أعمال متعددة، لا في عمل واحد"[٤]، و" لأن أعمالهم في الضلال مختلفة"[٥]، يعني بهم الذين أتعبوا أنفسهم في عمل يبتغون به ربحا وفضلا فنالوا به عَطَبا وهلاكا ولم يدركوا طلبا، كالمشتري سلعة يرجو بها فضلا وربحا، فخاب رجاؤه. وخسر بيعه، ووكس في الذي رجا فضله[٦].

ومن دلالات التمييز هنا ما يأتي :

---

(١)الجدول ١٥/ ١٤٣.

(٢)تفسير الطبري١٧/ ٥٩٨.

(٣)إعراب القرآن وبيانه للدرويش٥/ ٥٣٠

(٤)البيان ٢:١١٨

(٥)البحر ٦:٦٧

(٦)تفسير الطبري. ١٨/ ١٢٥، ١٢٦.

١-زيادة ترهيب المتلقي من أعمال هؤلاء الأخسرين؛فإن وقوع كلمة (أعمالا) تمييزا لهم يضاعف رهبة السامع أو المخاطب من أعمالهم، وفي الوقت ذاته يحضه على معرفتهم؛ليحذر الوقوع فيما عملوه؛إذ الخسارة في الأعمال أعظم؛ولا سيما إذا كان أصحابها يعدونها من أعظم الأعمال.

٢- فيه"تَمْلِيحٌ؛إِذْ عَدَلَ فِيهِ عَنْ طَرِيقَةِ الْخِطَابِ بِأَنْ يُقَالَ لَهُمْ : هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِأَنَّكُمُ الْأَخْسَرُونَ أَعْمَالًا، إِلَى طَرِيقَةِ الْغَيْبَةِ بِحَيْثُ يَسْتَشْرِفُونَ إِلَى مَعْرِفَةِ هَؤُلَاءِ الْأَخْسَرِينَ فَمَا يُرَوِّعُهُمْ إِلَّا أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْمُخْبَرَ عَنْهُمْ هُمْ أَنْفُسُهُمْ"[١].

٣-بيان جهة الخسران وهي الأعمال دليل على بطلانها، وقطع السبل أمام استدراكها؛وذلك أن التمييز بمعنى"من"، وهذا يختلف عن قولنا : بالأخسرين في الأعمال؛فلعلهم يستدركون ويصححون.

المسألة السابعة : **دلالة لفظي(نفيرا ونفرا)، وأثر الإعراب في المعنى**.

الموضع الأول(نفيرا) في قوله تعالى : (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا)(الإسراء/ ٦).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وردت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن بني إسرائيل، وما أنعم الله به عليهم في سالف الزمان، حيث نصرهم، وأمدهم بأموال وبنين، وجعلهم أكثر عدد نافر من غيرهم.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

أي جعلناكم أكثر منهم نُصَّاراً، ويجوز أن يكون نفيراً جمع نَفْرٍ كما يقال : العبيد والكليب والضّئين والمعيز، و (نَفِيرًا) منصوب على التَمييز[٢]، وَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ ; أَيْ مَنْ يَنْفِرُ مَعَكُمْ، وَهُوَ اسْمٌ لِلْجَمَاعَةِ، وَقِيلَ : هُوَ جَمْعُ نَفْرٍ[٣] .

وقوله (وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا) أي : وصيرناكم أكثر عدَدَ نافرٍ منهم[٤].

ومن دلالات التمييز تخصيص الكثرة الممتن بها عليهم بالنَفْر، و معناه القدرة على الخروج للقتال والاستعداد له، فالنَفير : القوم ينفِرون معك، وفي ذلك زيادة امتنان، وقد سبق الحديث عن(نفرا) في قوله تعالى : (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)(الكهف/ ٣٤)، والنفير أبلغ؛إذ ليس الممتن به من قبل الله، كالمذكور فخرا وبطرا من قبل الكافر.

المسألة الثامنة : **دلالة لفظ (عتيا)، والفرق بينه وبين(عتوا)، وأثر التمييز في المعنى**.

(ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا)(مريم/ ٦٩).

---

(١) التحرير والتنوير١٦/ ٤٦.

(٢) ينظر:معاني القرآن وإعرابه للزجاج٣/ ٢٢٨.

(٣) ينظر:التبيان للعكبري٢/ ٨١٣.

(٤)تفسير الطبري١٧/ ٣٧٠.

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وردت في سياق الحديث عن استبعاد الكافر البعث بعد الموت، ورد الله عليه بأنه خلقه من قبل ولم يك شيئا، والذي خلقه من عدم قادر على إعادته، ثم أقسم المولى جل وعلا ليجمعنهم مع قرنائهم من الشياطين حول جهنم جثيا، ثم لنخرجن من كل طائفة وأمة الأعتى فالأعتى.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

(أَيُّهُمْ أَشَدُّ)" أى " موصولة بمعنى الذى، و حركتها حركة بناء، وأشد خبر مبتدأ مضمر، والجملة صلة لأى، وأيهم وصلتها فى محل نصب مفعولا به لننزعن، وعتيا تمييز محول عن المبتدأ المحذوف الذى هو أشد، أى : جراءته على الرحمن أشد من جراءة غيره [١]، أي : "ثم لنأخذن من كلّ جماعة منهم أشدّهم على الله عتوّا، وتمرّدًا فلنبدأنّ بهم"[٢].

ومادة (ع ت و) تدل- كما يقول ابن فارس- على الاستكبار[٣]

فالعتو : النبو عن الطاعة، يقال : عتَا يَعتُو عُتواً وعتيًا، وقيل : هو جمع عاتٍ، وقيل : العاتي : الجاسي(اليابس)[٤]، و(عتيًا) : على وزن فعول مثل خروج وجلوس، فقلبت الواو ياء.

وقد جاء (عتواً) في سورة الفرقان، فقال تعالى(وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوّاً كَبِيرًا) [الفرقان : ٢١].

فأي العتوين أثقل؟، وما مناسبتهما للسياق؟

جاء بـ(عتي) في مريم، و(عتو) في الفرقان، وهما مصدران للفعل (عتا يعتو) والكثير (عتو)، وقد نرى أن ذلك للفاصلة في مريم؛إذ أنّ (عتيًا)، أنسب مع فواصل مريم، غير أنّ هذا الاختيار له دلالة أخرى، وذلك أن الواو كما هو مقرر أثقل وأقوى من الياء، وأن الضمة أثقل وأقوى من الكسرة لما فيهما من الجهد العضلي، وعلى هذا فـ(عتو) أثقل من (عتي) وأقوى.

ومن سياق النصين نلحظ اتصاف المذكورين بالعتو في الفرقان أشد مما في مريم، فاختار لهم اللفظ الأثقل والأقوى، وذلك لأنهم في – الفرقان – كانوا أشد كفراً فهم يريدون إنزال ملائكة لا ملك واحد وأن الإنزال يكون عليهم لا إليه كما طلب الآخرون. كما أرادوا رؤية الله – تعالى – ليؤمنوا بالرسول ويصدقوه وإلا فلن يصدقوه وقد أصابهم الاستكبار، وأكد عتوهم بالمصدر ووصفه بالكبر، بخلاف آية مريم (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا) [مريم : ٦٩]. والمذكورون في – الفرقان – هم من هؤلاء المذكورين في – مريم – بل من أشدهم، وخص العتو بكونه "على

---

(١) ينظر:التفسير الوسيط لطنطاوي٩/ ٥٩، باختصار.

(٢)تفسير الطبري١٨/ ٢٢٨.

(٣) المقاييس لابن فارس(ع ت و)٤/ ٢٢٥.

(٤) ينظر:المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني(عتو)٥٤٦.

الرحمن"، في حين أطلق العتو في الفرقان ولم يقيده بشيء، فهم عتاة على الرحمن وعلى خلقه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن العتو على الله لا ينال منه شيئًا بخلاف العتو على البشر؛ إذ ما قيمة العتو على الله وما أثره عليه؟

إنه تجبر مضحك ولذلك جعل أخف العتوين ما كان خاصًا وأثقلهما ما كان عامًا[١].

ومن دلالات التمييز هنا إفادة "التخصيص بشدة العذاب، لا التخصيص بأصل العذاب"[٢]

" وَالْمُرَادُ أَنَّهُ تَعَالَى يُحْضِرُهُمْ أَوَّلًا حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا، ثُمَّ يُمَيِّزُ الْبَعْضَ مِنَ الْبَعْضِ، فَمَنْ كَانَ أَشَدَّهُمْ تَمَرُّدًا فِي كُفْرِهِ، خُصَّ بِعَذَابٍ أَعْظَمَ؛ لِأَنَّ عَذَابَ الضَّالِّ الْمُضِلِّ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فَوْقَ عَذَابِ مَنْ يَضِلُّ تَبَعًا لِغَيْرِهِ، وَلَيْسَ عَذَابُ مَنْ يَتَمَرَّدُ وَيَتَجَبَّرُ كَعَذَابِ الْمُقَلِّدِ ، وَلَيْسَ عَذَابُ مَنْ يُورِدُ الشُّبَهَ فِي الْبَاطِلِ كَعَذَابِ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ مَعَ الْغَفْلَةِ، قَالَ تَعَالَى : (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِما كانُوا يُفْسِدُونَ) [النَّحْلِ : ٨٨] "[٣]

المطلب الثاني : التمييز الفذ(غير المترادف) في ختام الآيات القرآنية، ومناسبته المعنى.

المسألة الأولى : دلالة التمييز الواقع بعد(كفى) (في غير أسماء الله الحسنى)، وأثره في المعنى.

الموضع الأول : قوله تعالى : (انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا)(النساء/ ٥٠).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وردت في سياق الحديث عن كذب فريق من الذين أوتوا نصيبا من الكتاب، وفيها تعجيب من جرأتهم على الله تعالى؛إذ أنهم يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه، وحسبهم بذلك الكذب إثما ظاهرا.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

وأعرب كثير من العلماء قوله(إثما) تمييزا[٤]، وهو الراجح، وقلَّ مَن أعربه حالا[٥].

والمعنى على التمييز : " نِهَايَةٌ فِي بُلُوغِهِ غَايَةَ الْإِثْمِ كَمَا يُؤْذِنُ بِهِ تَرْكِيبُ (كَفَى بِهِ كَذَا)"[٦]

---

(١) ينظر:بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، د.فاضل السامرائي، ٤٩، ٥٠:، بتصرف يسير.

(٢) تفسير الرازي٢١/ ٥٥٧.

(٣) المرجع السابق ذاته.

(٤) وهم أكثر المعربين، ينظر-مثلا-:معاني القرآن وإعرابه للزجاج٢:٦٣، والبحر المحيط ٣:٢٧١، تفسير الرازي١٠/ ١٠١، تفسير القرطبي٥/ ١٤٨، روح المعاني٣/ ٥٣ ، إعراب القرآن وبيانه٢/ ٢٣٤.

(٥) لم أقف إلا على صاحب الجدول في إعراب القرآن، حيث ذكر ذلك في الهامش (١)٥/ ٥٩، وعادته أن يذكر الراجح في المتن، والمرجوح في الهامش.

(٦) التحرير والتنوير٥/ ٨٥.

فقوله : «إثْمـًا» تمييزٌ، والضميرُ في «به» عائدٌ على الكذب، وقيل : على الافتراءِ، وجَعَله الزمخشري عائداً على زعمِهم، يعني مِنْ حيث التقديرُ"[١].

أي : " انظر، يا محمد، كيف يفتري هؤلاء...الكذبَ والزور من القول، فيختلقونه على الله، "وكفى به"، يقول : وحسبهم بقيلهم ذلك الكذبَ والزورَ على الله "إثمًا مبينًا"، يعني أنه يبين كذبهم لسامعيه، ويوضح لهم أنهم أفَكَةٌ فجرة"[٢].

ومن دلالات التمييز هنا :

١- شناعة كذبهم، وعظيم افترائهم، حيث إنه افتراء على الله تعالى.

٢- يوحي بأن لهم آثاما أخرى عظيمة، وقد أشار الزمخشري إلى هذا بقوله : "

"كَفى بزعمهم هذا إِثْمـًا مُبِينـًا من بين سائر آثامهم"[٣].

الموضع الثاني : قوله تعالى : (فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا)٥٥.

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وردت هذه الآية في سياق زعم الذين أوتوا نصيبا من الكتاب أنهم أهدى من الذين آمنوا سبيلا، ورد الله عليهم بأنهم ملعونون، على بيعهم دينهم بدنياهم، وتحريفهم الكلم عن مواضعه واستهزائهم بدعوة الحق، وتزكيتهم لأنفسهم بالباطل، وافترائهم على الله الكذب، وتفضيلهم عبادة الأوثان على عبادة الله، وعلى بخلهم وحسدهم للنبي صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من فضله، وقد توعد الله على هذه الصفات الذميمة، والمسالك الخبيثة بأشد أنواع العذاب.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

وقد اختلف المعربون في إعراب (سعيرا)، فيرى أكثرهم أنه تمييز[٤] ، وهو الراجح، كما يرى آخرون أنه حال[٥]، وذكر بعضهم الوجهين دون ترجيح[٦].

أي : "وحسبكم، أيها المكذبون بما أنزلت على محمد نبيي ورسولي "بجهنم سعيرًا"، يعني : بنار جهنم، تُسعَر عليكم، أي : تُوقدُ عليكم، وقيل : "سعيرًا"، أصله "مسعورًا"، من "سُعِرت تُسعَر فهي مسعورة"، كما قال الله : (وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ)[التكوير/ ١٢]، ولكنها صرفت

---

(١) الدر المصون٤/ ٥.

(٢)ينظر: تفسير الطبري٨/ ٤٦٠باختصار.

(٣) الكشاف١/ ٥٢١.

(٤) ينظر:معاني القرآن وإعرابه للزجاج٢/ ٦٥، وفيه:كفت جهنم شدة توقد"، وإعراب القرآن للدعاس١/ ٢٠٢، والجدول٥/ ٦٣.

(٥) ينظر:"إعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٢٠، وفيه:"سعيرا بمعنى مسعورة"، والتبيان للعكبري ١/ ٣٦٥، وفيه:"سعيرا بمعنى مستعرا".

(٦) ينظر:"إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين درويش٢/ ٢٣٩.

إلى "فعيل"، كما قيل : "كف خضيب"، و"لحية دهين"، بمعنى : مخضوبة ومدهونة – و"السعير"، الوقود."[١]

ومن دلالات التمييز هنا : زيادة التَهْدِيدُ والوَعِيدُ لِلَّذِينِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ؛وذلك لأن "جهنم"والعياذ بالله متنوعة العذاب، فجاء قوله"سعيرا"ليفسر لهم أن هذا العذاب هو السعير ، بمعنى الوقود، كما قال تعالى (نارا وقودها الناس والحجارة)(التحريم/ ٦).ومن أعربها حالا فسره بالمشتق : مسعورا، أو مستعرا.

الموضع الثالث:قوله تعالى: (اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا)(الإسراء/ ١٤).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وردت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن عرض الصحف في موقف الحساب، فكلُّ إنسان وعملُه، ويخرج له كتابا يلقاه منشورا، ويقال له : اقرأ كتابك، كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

فقوله : (حسيبًا) منصوب على التمييز[٢]؛ لجواز دخول من عليه، وهو تمييز لنسبة الكفاية إلى النفس. وقيــل : هو منصوب على الحال[٣].

أي : "حسبك اليوم نفسك عليك حاسبا يحسب عليك أعمالك، فيحصيها عليك، لا نبتغي عليك شاهدا غيرها، ولا نطلب عليك محصيا سواها"[٤].

"وإنما قال حسيبا والنفس مؤنثة؛لأنه يعني بالنفس الشخص، أو لأنه لا علامة للتأنيث في لفظ النفس، فشُبِّهَت بالسماء والأرض، قال تعالى : (السماء منفطرٌ به) (المزمل/ ١٨)"[٥].

ومن دلالة التمييز هنا ما يأتي :

١-حساب الإنسان نفسَه يوم القيامة ، وإقامة الحجة عليه بقراءته كتابَه بنفسه-أبلغ برهان عليه، وأظهر حجة على إقامة العدل فيه، كما قال الحسن : "عدل –والله– في حقك من جعلك حسيب نفسك".

٢-بيان ما اشتملت عليه نسبة الكفاية إلى النفس من إبهام، حيث جاء التمييز مفسرا لذلك.

٣-غرابة هذا (الحسيب)؛فكثيرا ما كان الإنسان محاسبا لغيره في الدنيا، فإذا به اليوم أشد وأعظم من يحاسب نفسه، ويشهد عليها!

---

(١) تفسير الطبري٨/ ٤٦٠

(٢) إعراب القرآن للدعاس٣/ ٥٤.

(٣) الجدول٢٢/ ١٦٧.

(٤) تفسير الطبري١٧/ ٤٠١.

(٥) ينظر:البحر المحيط٦/ ١٦.

المسألة الثانية : دلالة التمييز الواقع بعد أفعال المدح والذم، وأثره في المعنى.

الموضع الأول : قوله تعالى : (وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا)(الكهف/ ٢٩).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وردت الآية في سياق الحديث عن أمر الله نبيه ﷺ بالصبر مع المؤمنين الضعفاء، وعدم الالتفات لهؤلاء الكافرين، وعدم طاعة الغافلين عن ذكر الله، المتبعين هواهم، الضائع أمرهم، فما عليك إلا أن تبلغهم، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، فقد أعد الله للظالمين نارا تحيط بهم من كل جانب، وإن سألوا الغيث أغيثوا بماء الحميم يشوي وجوههم، بئس الشراب وساءت منزلا وموضعا للارتفاق.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

(مرتفقا) تمييز منصوب[١]، أي : "وساءت هذه النار التي أعتدناها لهؤلاء الظالمين مرتفقا، والمرتفق في كلام العرب : المتكأ، يقال منه : ارتفقت إذا اتكأت، كما قال الشاعر[٢] :

قالَتْ لَهُ وارْتَفَقَتْ ألا فَتى ∴ يَسُوقُ بالقَوْمِ غَزَالاتِ الضُّحَى

أراد : واتكأت على مرفقها، وقد ارتفق الرجل : إذا بات على مرفقه لا يأتيه نوم، وهو مرتفق، كما قال أبو ذؤيب الهذلي[٣] :

نامَ الخَلِيُّ وَبِتُّ اللَّيْلَ مُرْتَفِقًا ∴ كَأَنَّ عَيْنيَ فيها الصَّابُ مَذْبُوحُ

وكان مجاهد يتأول قوله : (وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا) يعني المجتمع[٤] .

ومن دلالات التمييز هنا زيادة التهكم من هؤلاء الظالمين ، والمرتفق : مَحل الارتفاق، وَهُوَ اسْمُ مَكَانٍ مُشْتَقٌّ مِنِ اسْمِ جَامِدٍ إِذِ اشْتُقَّ مِنَ الْمِرْفَقِ وَهُوَ مَجْمَعُ الْعَضُدِ وَالذِّرَاعِ، سُمِّيَ مِرْفَقًا لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يُحَصِّلُ بِهِ الرِّفْقَ إِذَا أَصَابَهُ إعياء فيتكىء عَلَيْهِ، فَلَمَّا سُمِّيَ بِهِ الْعُضْوُ تُنُوسِيَ اشْتِقَاقُهُ وَصَارَ كَالْجَامِدِ، ثُمَّ اشْتُقَّ مِنْهُ الْمُرْتَفَقُ. فَالْمُرْتَفَقُ هُوَ الْمُتَّكَأُ.

وَشَأْنُ الْمُرْتَفَقِ أَنْ يَكُونَ مَكَانَ اسْتِرَاحَةٍ، فَإِطْلَاقُ ذَلِكَ عَلَى النَّارِ تَهَكُّمٌ، كَمَا أُطْلِقَ عَلَى مَا يُزَادُ بِهِ عَذَابُهُمْ لَفْظُ الْإِغَاثَةِ[٥].

---

(١)الجدول ١٥/ ١٧٦.

(٢) هذان بيتان من مشطور الرجز، والبيت في الأمالي للزجاجي غير منسوب، ، وكذا الثعلبي في الكشف والبيان

(٣) في ديوان أبي ذؤيب الهذلي طبع دار الكتب المصرية، (القسم الأول من ديوان الهذليين ص ١٠٤).

(٤)تفسير الطبري١٨/ ١٥.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير١٥/ ٣٠٩، باختصار.

الموضع الثاني قوله تعالى : (أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا)(الكهف/ ٣١).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وردت الآية الكريمة في سياق ذكر ما أعده الله للمؤمنين، مقابل ما ذكر من قبل في حق الظالمين، فذكر أن المؤمنين أحسنوا العمل ، فأحسن الله لهم الأجر، وعاملهم بالفضل.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

و(مرتفقا) تمييز محول عن الفاعل أي : مرتفقها [١] .

أي : "نعم الثواب جنات عدن، وما وصف جلّ ثناؤه أنه جعل لهؤلاء الذين آمنوا وعلموا الصالحات (وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا) يقول: وحسنت هذه الأرائك في هذه الجنان التي وصف تعالى ذكره في هذه الآية متكأ.وقال سبحانه:(وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا) فأنث الفعل بمعنى:وحسنت هذه الأرائك مرتَفَقا"[٢].

ومن دلالات التمييز هنا مدح المنعَّمين في الجنة من المؤمنين، وبيان تَمَيُّزِهم عن غيرهم، وذلك بمدح الجنة واتكائهم فيها، مقابل ما يلقاه الكافرون من العذاب.

و"التَّقْدِيرُ : وَحَسُنَتِ الْجَنَّاتُ مُرْتَفَقًا، وَهَذَا مُقَابِلُ قَوْلِهِ فِي حِكَايَةِ حَالِ أَهْلِ النَّارِ وَساءَتْ مُرْتَفَقًا. وَالْمُرْتَفَقُ : هُنَا مُسْتَعْمَلٌ فِي مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيِّ بِخِلَافِ مُقَابِله الْمُتَقَدّم"[٣].

الموضع الثالث : قوله : (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا)(٥٠).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت الآية الكريمة في سياق الحديث عن بعض مشاهد القيامة من تسيير الجبال، والحشر، والعرض للحساب، ووضع الكتاب، وحضور الأعمال، ثم ذكرهم ربهم بقصة أبيهم آدم-عليه السلام عندما أمر الله الملائكة أن تسجد له، فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه، ثم أشار إلى سبب إيراد هذه القصة في مشاهد القيامة، بهذا التقريع والتوبيخ في قوله : (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا)أي أن الذي أوردكم النار هو إبليس الذي أخرج أبويكم من الجنة، واتخذتوه وليا بدلا مني.

---

(١)إعراب القرآن وبيانه للدرويش٥/ ٥٨٧.

(٢)تفسير الطبري١٨/ ١٨.

(٣) التحرير والتنوير١٥/ ٣١٤.

التمييز وربط دلالته بالمعنى : (بَدَلًا) تمييز، أي : بئس البدل للكافرين بالله اتخاذ إبليس وذريته أولياء من دون الله، وهم لكم عدوّ من تركهم اتخاذ الله وليا باتباعهم أمره ونهيه، وهو المنعم عليهم وعلى أبيهم آدم من قبلهم، المتفضّل عليهم من الفواضل ما لا يحصى بدلا[١].

ومن دلالات التمييز ذم إبليس وجنوده، والتحذير والتنفير من اتخاذه وذريته أولياءَ مباعدين لله.

وَجُمْلَةُ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا مُسْتَأْنَفَةٌ لِإِنْشَاءِ ذَمِّ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتِهِ بِاعْتِبَارِ اتِّخَاذِ الْمُشْرِكِينَ إِيَّاهُمْ أَوْلِيَاءَ، أَيْ بِئْسَ الْبَدَلُ لِلْمُشْرِكِينَ الشَّيْطَانُ وَذُرِّيَّتُهُ، فَقَوْلُهُ : بَدَلًا تَمْيِيزٌ مُفَسِّرٌ لِاسْمِ (بِئْسَ) الْمَحْذُوفِ لِقَصْدِ الِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ بِالتَّمْيِيزِ عَلَى طَرِيقَةِ الْإِجْمَالِ ثُمَّ التَّفْصِيلِ.[٢]

الموضع الرابع : قوله تعالى : (كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا. مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا. خَالِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا)(طه) .

المعنى السياقي للآية الكريمة :

ورد قوله : (خَالِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا)(طه/ ١٠١) في سياق التعقيب على قصة موسى عليه السلام، التي ختمت بقصة السامري، وما ناله من عقاب في الدنيا والآخرة، و هذا القرآن وحي من الله تعالى، من لم يؤمن به، ولم يعمل به فإنه يحمل ذنبا عظيما يوم القيامة.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

(حِمْلًا) : تَمْيِيزٌ لِاسْمِ «سَاءَ»، وَ «سَاءَ» مِثْلَ : بِئْسَ ; وَالتَّقْدِيرُ : وَسَاءَ الْحِمْلُ حِمْلًا، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ : وَسَاءَ الْوِزْرُ ; لِأَنَّ الْمُمَيَّزَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنْ لَفْظِ اسْمِ بِئْسَ[٣].

أي : "وساء ذلك الحمل والثقل من الإثم يوم القيامة حملا وحقّ لهم أن يسوءهم ذلك، وقد أوردهم مهلكة لا منجى منها"[٤].

ومن دلالات التمييز هنا بيان العقوبة الثقيلة التي يُحَمَّلُها من أعرض عن الذكر، ولم يؤمن به، وكأن المعرض أراد أن يتخفف ولا يكلف نفسه شيئا، فكان الثِقَلُ العظيمُ جزاءَ ذلك الإعراض.

"وَالْوِزْرُ هُوَ الْعُقُوبَةُ الثَّقِيلَةُ سَمَّاهَا وِزْرًا تَشْبِيهًا فِي ثِقَلِهَا عَلَى الْمُعَاقَبِ وَصُعُوبَةِ احْتِمَالِهَا الَّذِي يَثْقُلُ عَلَى الْحَامِلِ وَيُنْقِضُ ظَهْرَهُ أَوْ لِأَنَّهَا جَزَاءُ الْوِزْرِ وَهُوَ الْإِثْمُ وَقُرِئَ يُحَمَّلُ[٥]، ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى صِفَةَ

(١) ينظر:تفسير الطبري١٨/ ١٨.

(٢) ينظر:التحرير والتنوير١٦/ ٣٠٣.

(٣)التبيان للعكبري٢/ ٩٠٤.

(٤) تفسير الطبري١٨/ ٣٦٨.

(٥) هي قراءة شاذة، نسبت إلى داود بن رفيع، وعكرمة، وأبي المتوكل، وعاصم الجحدري، ينظر:مختصر ابن خالويه٨٩، ٩٠، والكشاف للزمخشري٢/ ٣١٣، والبحر المحيط لأبي حيان ٦/ ٢٧٨.

ذَلِكَ الْوِزْرِ مِنْ وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ يَكُونُ مُخَلَّدًا مُؤَبَّدًا. وَالثَّانِي : قَوْلُهُ : وَساءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ حِمْلًا أَيْ وَمَا أَسْوَأَ هَذَا الْوِزْرَ حِمْلًا أَيْ مَحْمُولًا وَحِمْلًا مَنْصُوبٌ عَلَى التَّمْيِيزِ "[1]

المسألة الثالثة : دلالة التمييز الواقع بعد(أفعل)، وأثر الإعراب في المعنى.

الموضع الأول : في قوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا)(النساء/ ٦٦).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت هذه الآية في سياق الحديث عن فئة من المنافقين، علم الله ما في قلوبهم من الضعف والركون إلى الدنيا، والتقاعس عن القتال في سبيل الله فأخبر الله عنهم، وقد كان في إمكانهم أن يكونوا في مع المؤمنين، ثابتين أقوياء إنْ هم فعلوا ما يوعظون به، ولكنهم لم يفعلوا.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

" لَكانَ خَيْراً لَهُمْ، أي : في الدنيا والآخرة. وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا في أمورهم و «تثبيتا» على البيان"[2].

وقد وضح الطبري ذلك التثبيت بقوله : " وأشد تثبيتًا"، وأثبت لهم في أمورهم، وأقوم لهم عليها؛ وذلك أن المنافق يعمل على شك، فعمله يذهب باطلا وعناؤه يضمحلّ فيصير هباء، وهو بشكِّه يعمل على وناءٍ وضعف"[3]، و إليه ذهب الزمخشري حيث قال : " لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم وأشد تثبيتا لإيمانهم وأبعد من الاضطراب فيه"[4] .

والتثبيت:التقوية بجعل الشيء ثابتا راسخا، مأخوذ من الثِبات[ككِتاب]وهو سَيْر يُشَدَّ به الرَحْلُ[5].

وإنما كان العمل وإتيان الأمور الموعوظ بها في الدين يزيد العامل قوة وثباتا ; لأن الأعمال هي التي يكون بها العلم الإجمالي المبهم تفصيليا جليا، وهي التي تطبع الأخلاق والملكات في نفس العامل، وتبدد المخاوف والأوهام من نفسه، مثال ذلك : أن بذل المال في سبيل الله تعالى بأعمال البر آية من أقوى آيات الإيمان، وقربة من أكبر أسباب السعادة والرضوان، فمن آمن بذلك ولم يعمل به لا يكون علمه بمنافعه وفوائده له وللأمة والملة إلا ناقصا، وكلما اعتن له سبب من أسباب البذل تحداه في نفسه طائفة من أسباب الإمساك والبخل، كالخوف من الفقر والإملاق، أو نقصان ماله عن مال بعض الأقران، أو تعليل النفس بادخار ما احتيج إلى بذله الآن ليوضع فيما هو خير وأنفع في مستقبل الزمان، فإذا هو اعتاد البذل صار السخاء خلقا له، لا يثنيه وسواس ولا خوف، واتسعت معرفته بطرق منافعه، ووضع المال في خير مواضعه .

---

(١)تفسير الرازي٢٢/ ٩٧.

(٢)إعراب النحاس١/ ٢٢٤.

(٣)تفسير الطبري٨/ ٥٢٨.

(٤) الكشاف للزمخشري ١/ ٥٣٠

(٥) لسان العرب(ثبت)٢/ ٢٠، ٢١.

وقال محمد عبده : لكان خيرا لهم في مصالحهم، وأشد تثبيتا لهم في إيمانهم، فإن الامتثال إيمانا واحتسابا يتضمن الذكرى، وتصور احترام أمر الله، والشعور بسلطانه، وإمرار هذه الذكرى على القلب عند كل عمل مشروع يقوي الإيمان ويثبته، وكلما عمل المرء بالشريعة عملا صحيحا انفتح له باب المعرفة فيها، بل ذلك مطرد في كل علم[١]، وذكر الرازي[٢] في التثبيت ثلاثة أوجه :

الأول : أن ذلك أقرب إلى ثباتهم واستمرارهم ; لأن الطاعة تدعو إلى مثلها .

الثاني : أن ذلك يكون أثبت في نفسه ؛ لأنه حق، والحق ثابت والباطل زائل .

الثالث :أن الإنسان يطلب الخير أولا، فإذا حصَّله طلب أن يكون الحاصل ثابتا باقيا، فقوله تعالى: (لكان خيرا لهم) إشارة إلى الحالة الأولى، وقوله : وأشد تثبيتا إشارة إلى الحالة الثانية.

-"ويحتمل... أنه أشد تثبيتا لهم، أي لبقائهم بين أعدائهم ولعزتهم وحياتهم الحقيقية فإنهم إنما يكرهون القتال استبقاء لأنفسهم، ويكرهون المهاجرة حبا لأوطانهم، فعلمهم الله أن الجهادوالتغرب فيه أو في غيره أشد تثبيتا لهم، لأنه يذود عنهم أعداءهم، كما قال الحصين بن الحمام[٣] :

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد .. لنفسي حياة مثل أن أتقدما "[٤] .

"وقيل : معناه : أكثر انتفاعا؛ لأن الانتفاع بالحق يدوم ولا يبطل لاتصاله بثواب الآخرة، والانتفاع بالباطل يبطل ويضمحل، ويتصل بعقاب الآخرة"[٥] .

و : [أشد تثبيتا] "مما ثبتوا به أنفسهم بالأيمان الحانثة"[٦].

ومن دلالات التمييز –بناء على ما سبق : حصول التثبيت والثبات وزيادته[لهؤلاء المذكورين]، فإن الله يثبت الذين آمنوا بسبب ما قاموا به من الإيمان، الذي هو القيام بما وعظوا به، فيثبتهم في الحياة الدنيا عند ورود الفتن في الأوامر و النواهي والمصائب، فيحصل لهم ثبات يوفقون لفعل الأوامر وترك الزواجر التي تقتضي النفس فعلها، وعند حلول المصائب التي يكرهها العبد، فيوفق للتثبيت بالتوفيق للصبر أو للرضا أو للشكر فينزل عليه معونة من الله للقيام بذلك، ويحصل له الثبات على الدين، عند الموت وفي القبر.

---

(١)ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد بن علي رضا (ت: ١٣٥٤هـ)، ٥/ ١٩٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠، بتصرف.

(٢) ينظر:تفسير الرازي١٠/ ١٣١.

(٣) البيت من بحر الطويل، وهو في ديوانه، من قصيدة مطلعها:

جزى الله أفناء العشيرة كلها .. بدارة موضوع عقوقا ومأثما

(٤) التحرير والتنوير٥/ ١١٥.

(٥) تفسير روح المعاني٣/ ٧٢.

(٦) الدر المصون للسمين الحلبي٤/ ٢١.

وأيضا فإن العبد القائم بما أمر به، لا يزال يتمرن على الأوامر الشرعية؛حتى يألفها ويشتاق إليها وإلى أمثالها، فيكون ذلك معونة له على الثبات على الطاعات"[١]، فالمراد : التثبيت على الإيمان.

الموضع الثاني : في قوله : (ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا) (الكهف/ ١٢).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن قصة أهل الكهف، وفيها إخبار من الله تعالى ببعثهم بعد هذه المدة الطويلة، لينظر عبادي فيعلموا بالبحث، أيُّ الطائفتين أقدر على إحصاء مدة لبثهم.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

وقفة متأملة(طويلة) مع فاصلة الآية الكريمة :

استوقفتني هذه الفاصلة طويلا؛ لأستنبط من إعراب كلمة (أمدا) دلالات تفيد المعنى، و سألت نفسي أسئلة؛لإشعال جذوة البحث، وسأحاول الإجابة عنها إن شاء الله تعالى!

بدايةً لابد من استحضار علة بعث أصحاب الكهف من نومهم الطويل، وهو- في الظاهر- إظهار علم الله تعالى في أيهم أحصى أمدَ مدة لبثهم.

فما معنى أحصى؟، وما نوعها؟، وما معنى الأمد؟وهل له إطلاقات أخرى في القرآن واللغة؟وما إعرابه؟ وإليكم الإجابةَ مستعينًا بالله- تعالى- ، سائلًا منه-سبحانه- التوفيقَ والسدادَ :

الأمد في اللغة :

"الهمزة والميم والدال : الأمد : الغاية"[٢]، و"الأمد مدة لها حد مجهول إذا أطلق، وقد ينحصر نحو أن يقال : أمد كذا، كما يقال : زمان كذا، والفرق بين الزمان والأمد أن الأمد يقال باعتبار الغاية، والزمان عام في المبدأ والغاية"[٣].

وَالْأَمَدُ : الْغَايَةُ وَأَصْلُهُ فِي الْأَمْكِنَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ ابْنِ عُمَرَ-رضي الله عنهما : «إنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي لَمْ تُضَمَّرْ وَجَعَلَ أَمَدَهَا ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ»، (أَيْ غَايَةَ الْمُسَابَقَةِ)[٤] .

والمعنى المحوري لتركيب(أ م د) يدور حول(حدود ما يجهد فيه جريا أو حملا)، فيقال للسفينة المملوءة حيث بلغت شحنتها حدود طاقتها : آمد وآمدة، وأمد الخيل : مسافة السباق ما بين حد أول جريها وآخره، ومن أمد الخيل المكاني استعمل في الأمد الزماني"الأمد : الغاية، يقال : ما أمدك؟أي : كم سنك؟، أي : مدة سني حياتك من ولادتك إلى الآن"[٥].

---

(١) تفسير السعدي١٨٥ .

(٢) مقاييس اللغة لابن ارس (أمد)١/ ١٣٧ .

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني(أمد)٨٨.

(٤) ينظر:التحرير والتنوير٢٩/ ٢٤٧.

(٥) ينظر:المعجم الاشتقاقي (أمد)٤/ ٢٠٤٦، ٢٠٤٧ بتصرف يسير.

الأمد في القرآن الكريم :

ذكر الأمد أربع مرات، في قوله تعالى : (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا)(آل عمران/ ٣٠)، وقوله تعالى : (ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا)(الكهف/ ١٢)، وقوله تعالى : (فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ)(الحديد/ ١٦) وقوله تعالى : (قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا)(الجن/ ٢٥)، ونلحظ على ذكر الأمد في هذه الآيات الكريمة ما يأتي :

١-جاء معرفة في موضع وحيد وهو في سورة الحديد، ومنكرا في المواضع الأخرى.

٢-مجيء الأمد في المواضع جميعها مستعارا لمدة من الزمان معينة، و أصله في الأمكنة كما سبق في اللغة، وهذا يشير إلى شهرته بهذا المعنى أكثر من أصله الاشتقاقي.

٣- مجيء الأمد في سورتين مكيتين(الكهف، والجن)، وسورتين مدنيتين(آل عمران والحديد)، وهذا يشير إلى استواء الغاية مع دعوة القرآن قبل الهجرة وبعدها، واتفاق معنى الأمد المطروح مع أسلوب الآيات المكية المهتمة بالعقيدة والتوحيد، والآيات المدنية المهتمة بالشريعة والعبادات والمعاملات.

والمعنى : "ثم بعثنا هؤلاء الفتية الذين أَوَوْا إلى الكهف بعد ما ضربنا على آذانهم فيه سنين عددا من رقدتهم؛ لينظر عبادي فيعلموا بالبحث، أيُّ الطائفتين اللتين اختلفتا في قدر مبلغ مكث الفتية في كهفهم رقودا أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا)، أي : أصوب لقدر لبثهم فيه أمدا، ويعني بالأمد : الغاية"[١]

أي : ليعلم أيهم أحصى مدة كائنة للبثهم، والمراد من إحصائها ضبطها من حيث كميتها المنفصلة العارضة لها باعتبار قسمتها إلى السنين وبلوغها من تلك الحيثية إلى مراتب الأعداد كما يرشدك إليه كون المدة عبارة عما سبق من السنين، وليس المراد ضبطها من حيث كميتها المتصلة الذاتية فإنه لا يسمى إحصاء، وقيل إطلاق الأمد على المدة مجاز وحقيقته غاية المدة[٢].

واختلف المعربون في إعراب(أمدا)، و نوع(أحصى)على النحو الآتي :

يقول الطبري : " وفي نصب قوله (أَمَدًا) وجهان : أحدهما أن يكون منصوبا على التفسير من قوله (أَحْصَى) كأنه قيل : أيّ الحزبين أصوب عددا لقدر لبثهم.

وهذا هو أولى الوجهين في ذلك بالصواب، لأن تفسير أهل التفسير بذلك جاء.

والآخر : أن يكون منصوبا بوقوع قوله (لَبِثُوا) عليه، كأنه قال : أيّ الحزبين أحصى للبثهم غاية"[٣].

---

(١) تفسير الطبري١٧/ ٦١٣.

(٢) ينظر:تفسير روح المعاني للآلوسي٨/ ٢٠٣.

(٣) تفسير الطبري١٧/ ٦١٤.

وعلق ابن عطية على الوجه الثاني بقوله : "وقال الطبري : نصب أمدا ب(لبثوا)، وهذا غير متجه"[١].

ونقل القرطبي[٢] العبارة ذاتها عن ابن عطية دون تعليق، وقد يوهم ذلك أن هذا هو الوجه الوحيد الذي يراه الطبري، وقد سبق عرض رأيه، وأنه يرى أن الأولى نصبه على التمييز.

و إعرابه تمييزا هو الوجه المقدم عند الفراء[٣].

و(أَحْصى) يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ فِعْلًا مَاضِيًا، وأَن يَكُونَ اسْمَ تَفْضِيلٍ مَصُوغًا مِنَ الرُّبَاعِيِّ عَلَى خِلَافِ الْقِيَاسِ، وَاخْتَارَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي «الْكَشَّافِ»[٤] تَبَعًا لِأَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ الْأَوَّلَ تَجَنُّبًا لِصَوْغِ اسْمِ التَّفْضِيلِ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ لِقِلَّتِهِ. وَاخْتَارَ الزَّجَّاجُ[٥] الثَّانِيَ، وَمَعَ كَوْنِ صَوْغِ اسْمِ التَّفْضِيلِ مِنْ غَيْرِ الثُّلَاثِيِّ لَيْسَ قِيَاسًا فَهُوَ كَثِيرٌ فِي الْكَلَامِ الْفَصِيحِ[٦] وَفِي الْقُرْآنِ.

"فَالْوَجْهُ، أَنَّ أَحْصى اسْمُ تَفْضِيلٍ، وَالتَّفْضِيلُ مُنْصَرِفٌ إِلَى مَا فِي مَعْنَى الْإِحْصَاءِ مِنَ الضَّبْطِ وَالْإِصَابَةِ. وَالْمَعْنَى : لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَتْقَنُ إِحْصَاءً، أَيْ عَدًّا بِأَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُوَافِقَ لِلْوَاقِعِ وَنَفْسِ الْأَمْرِ وَيَكُونَ مَا عَدَاهُ تَقْرِيبًا وَرَجْمًا بِالْغَيْبِ. وَذَلِكَ هُوَ مَا فَصَّلَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ [الْكَهْف : ٢٢] الْآيَةَ. وأَمَداً تَمْيِيز لاسم التَّفْصِيل تَمْيِيزٌ نِسْبَةٍ، أَيْ نِسْبَةِ التَّفْضِيلِ إِلَى مَوْصُوفِهِ ...وَالْمَعْنَى : لِيَظْهَرَ اضْطِرَابُ النَّاسِ فِي ضَبْطِ تَوَارِيخِ الْحَوَادِث واختلال خرصهم وَتَخْمِينِهِمْ إِذَا تَصَدَّوْا لَهَا، وَيُعْلَمُ تَفْرِيطُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فِي تَحْدِيدِ الْحَوَادِثِ وَتَارِيخِهَا، وَكِلَا الْحَالَيْنِ يَمُتُّ إِلَى الآخر بصلَة"[٧]، وقد جاز الفصل بين(أحصى)و(أمدا)؛لأن فيه معنى الفعل[٨].

وإليك جدولا فيه خلاصة آراء كثير من المفسرين واللغويين في أوجه الإعراب الجائزة، وما يلزمها من معنى :

	أحصى(فعل ماض)	أحصى(أفعل تفضيل)	إعراب(أمدا)	المعنى
	-	الفراء(ت٢٠٧)	تفسير	أصوب عددا لقدر لبثهم

(١) المحرر الوجيز٣/ ٥٠٠

(٢) ينظر:تفسير القرطبي١٠/ ٣٦٤.

(٣) ينظر:معاني القرآن للفراء٢/ ١٣٦ .

(٤) ينظر:الكشاف٢/ ٧٠٥.

(٥) ينظر:معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٧١.

(٦)كَقَوْلِكَ: مَا أَعْطَاهُ لِلْمَالِ وَآتَاهُ لِلْخَيْرِ. وَقَالَ فِي صِفَةِ حَوْضِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ". وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فهو لما سواها أضيع.ينظر:تفسير القرطبي١٠/ ٣٦٤.

(٧) التحرير والتنوير١٥/ ٢٧٠.

(٨) ينظر:إعراب النحاس٢/ ٢٩٠.

		الطبري(ت٣١٠)	تمييز	أصوب قولا للبثهم أمدا
		الزجاج(٣١١)	ظرف	
	أبو علي الفارسي(٣٤١)		مفعول به لأحصى	أحصى أمد ذلك اللبث
		السمرقندي(٣٧٣)		أحفظ لما مكثوا أجلا
		الثعالبي(٤٢٩)		
	الحوفي(٤٣٠)		مفعول به-تمييز	
		ابن الجوزي(٥١٠)		أهؤلاء أحصى للأمد أو هؤلاء؟
		البغوي(٥١٦)		أحفظ لما مكثوا في كهفهم نياما غاية أو عددا
٠	الزمخشري(٥٣٨)		مفعول به لأحصى	أيهم ضبط أَمَداً لأوقات لبثهم
١	ابن عطية(٥٤١)		على نزع الخافض	لما لبثوا من أمد أي مدة
٢	العكبري(٦١٦)	العكبري	مفعول به لأحصى إذا كان فعلا، أو مفعول به بفعل دل عليه الاسم –تمييز	لما لبثوه (فيكون أمدا تمييزا للبث لا للإحصاء)
٣		التبريزي(٦٤٤)		
٤		ابن عصفور(٦٦٩)		
٥	القرطبي(٦٧١)		مفعول به	
٦	البيضاوي(٦٨٥)		مفعول لأحصى	ضبط أمد الزمان للبثهم
٧	النسفي(٧١٠)		ظرف لأحصى- مفعول به	أيهم ضَبَط أمدا لأوقات لبثهم وأحاط علما بأمد لبثهم
٨	أبو حيان		مفعول به	
٩	أبوالسعود(٩٨٢)		مفعول	

٠	الآلوسي(١٢٧٠)		مفعول	ليعلم أيهم أحصى مدة كائنة للبثهم
١		عبد الرحمن السعدي(١٣٠٧)		أيهم أحصى لمقدار مدتهم
٢		ابن عاشور(١٣٩٣)	تمييز	أي الحزبين أتقن إحصاء، أي : عدا
٣		القاسمي(١٣٣٢)		أشد إحصاء (أضبط) لغاية مدة لبثهم
٤		المراغي(١٣٦٤)		أضبط في الإحصاء والعد لمدة هذا اللبث في الكهف
٥		ابن عثيمين(١٤٢١)	تمييز	أي الحزبين أضبط لما لبثوا أمدا.

ومن خلال الجدول السابق يمكن لنا استنتاج الآتي :

١-مال أكثر العلماء(وعددهم ١٥)إلى اعتداد (أحصى) اسم تفضيل على غير القياس.

٢-كما رجح بعضهم (وعددهم١١) كون(أحصى)فعلا ماضيا.

٣-اختلفوا في إعراب(أمدا)، فأعربه كثير منهم(وعددهم١٠)مفعولا لأحصى، وأعربه بعضهم(وعددهم٥) تمييزا لأحصى (اسم تفضيل)، وأعربه العكبري-في أحد وجوهه- تمييزا للبث على اعتداد(أحصى اسما)، وأعربه اثنان منهم ظرفا لأحصى، وجوز ابن عطية نصبه على نزع الخافض، وذكر العكبري جواز نصبه بفعل دل عليه اسم التفضيل(أحصى).

وأميل إلى إعراب (أمدا) مفعولا للفعل(أحصى)؛لسلامته من الاعتراض؛ولأنه حكاية حال ماضية، وقد ذكر في السورة أنهم اختلفوا فيما بينهم؛لأنّ المقصود بالاختبار إظهار عجز الكل عن الإحصاء رأسًا، لا إظهار أفضل الحزبين وتمييزه عن الأدنى، مع تحقق أصل الإحصاء فيهما؛ أي ضبط {لِما لَبِثُوا}؛ أي للبثهم فما مصدرية {أَمَدًا} أي : غاية وزمنًا.

فالعلة من بعثهم على هذا ظاهرة، ولكنها تخفى إذا جعلنا(أحصى)اسم تفضيل-على غير قياس- من الإحصاء بمعنى الضبط والعد؛إذ أن ضبط أحد الحزبين للمدة لا يصلح أن يكون علة لبعثهم، إلا

إذا كان من (حصا) بمعنى : منع، والمراد ضبط، وفيه معنى الإمساك، يقال : حصاه حقه يحصوه : منعه(إمساك كأن الأصل حصا عنه حقه)[١]

قال الراغب : إن مأتى استعمال هذا اللفظ في العد أنهم "كانوا يعتمدونه أي الحصا في العد كاعتمادنا على الأصابع"[٢].

وأرى-والله أعلم- أن الإحصاء في الآية يتعدى معنى العد والحساب إلى معنى العقل والفهم وتدبر الغاية من لبثهم هذه المدة الطويلة، وهو إظهار آية كونية(في أصحاب الكهف) على قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت، فقد كان فريق من الناس في عهدهم ينكرون البعث، وكذا في عصرنا إلى يوم القيامة، وإظهار آية قرآنية (في سورة الكهف) تتلى إلى يوم القيامة.

ويؤيده أن الإحصاء لغة يستعمل بمعنى العقل والفهم، كما يستعمل بمعنى العد والحفظ[٣]

وقد ذكر الخطّابي-في معرض كلامه عن شرح معنى الإحصاء في حديث(من أحصاها دخل الجنة)[٤] أنّ المراد بالإحصاء يحتمل مع الحفظ الإحاطة بمعاني الأسماء الحسنى، من قول العرب : فلان ذو حَصَاة ؛ أي ذو عقل وفهم ومعرفة، واستحصى اشتدّ عقله، وهو حَصِيٌّ كغَنِيّ ؛ أي وافر العقل، ويقال : ماله حصاة، ولا أصاة، أي رأي يرجع إليه[٥].

وسمي العقل حَصاة؛لأنه يُمسك المعلومات، كما سُمي عَقلا وحِجرا[٦]

الموضع الرابع في قوله تعالى : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا)(الكهف/ ٥٤)،

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وردت هذه الآية الكريمة بين قصة صاحب الجنتين، وقصة موسى والخضر، في سياق التذكير بأمثال القرآن، وتنويعها من أجل هداية الناس، و لكن الإنسان كثير المجادلة والمعارضة، وفي القصتين جدال، أحدهما بالباطل من قبل الكافر صاحب الجنتين مع صاحبه المؤمن، وجدال من نوع آخر من قبل نبي من أولي العزم من الرسل، وهو سيدنا موسى –عليه السلام.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

---

(١) ينظر:المعجم الاشتقاقي(حصا)٤٤٠.

(٢) المفردات في غريب القرآن (حصا)٢٤٠.

(٣)ينظر:القاموس المحيط للفيروزآبادي(حصا) ٤/ ٣١٩.

(٤)صحيح البخاريّ بشرحه فتح الباري : كتاب التّوحيد ، باب ان لله مائة اسم إلاّ واحدة ١٣/ ٣٧٧ ، صحيح مسلم بشرحه للنّوويّ : كتاب الذّكر والدّعاء ، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها ١٧/ ٥ ، ٦ .

(٥) المرجع السابق ذاته.

(٦) قاله أستاذنا الدكتور جبل –رحمه الله- في معجمه١/ ٤٤٠.

فِي إعراب (جدلا)تمييزا وَجْهَانِ : أَحَدُهُمَا : أَنَّ شَيْئًا هُنَا فِي مَعْنَى مُجَادِلٍ ; لِأَنَّ أَفْعَلَ يُضَافُ إِلَى مَا هُوَ بَعْضٌ لَهُ، وَتَمْيِيزُهُ بِجَدَلًا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الْأَكْثَرُ مُجَادِلًا، وَهَذَا مِنْ وَضْعِ الْعَامِّ مَوْضِعَ الْخَاصِّ، وَالثَّانِي : أَنَّ فِي الْكَلَامِ مَحْذُوفًا، تَقْدِيرُهُ : وَكَانَ جِدَالُ الْإِنْسَانِ أَكْثَرَ شَيْءٍ، ثُمَّ مَيَّزَهُ[١].

أي : وكان الإنسان أكثر شيء مراء وخصومة، لا ينيب لحقّ، ولا ينزجر لموعظة[٢].

ومعنى الجدال : من الجَدِيل وهو الحبل المفتول (الملفوف بعضه أو مثله عليه)، والمجادَلة : المخاصمة، ومَردُّها إلى المعنى اللغوي؛حيث يلتف كلٌ على الآخر بإصرار.

وَالْجِدَالُ : خُلُقٌ، مِنْهُ ذَمِيمٌ يَصُدُّ عَنْهُ تَأْدِيبُ الْإِسْلَامِ وَيَبْقَى فِي خُلُقِ الْمُشْرِكِينَ، وَمِنْهُ مَحْمُودٌ كَمَا فِي قَوْلِهِ : (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْراهِيمَ الرَّوْعُ وَجاءَتْهُ الْبُشْرى يُجادِلُنا فِي قَوْمِ لُوطٍ)[هود : ٧٤- ٧٥] ، .[٣]

ومن دلالات التمييز هنا بيان تفرد الإنسان بكثرة المجادلة، أي أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل إن فصلتها واحداً بعد واحد خصومة يعني أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شيء[٤].

الموضع الخامس في قوله تعالى : (ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا) (مريم/ ٧٠).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن البعث، والحشر، ومجازاة الظالمين، وإخراج الأعتى فالأعتى من كل جماعة، للتنكيل بهم، ثم إنه سبحانه أعلم بالذين يستحقون عذابا شديدا، وأولى هؤلاء بالعذاب الأشد، وفيه ترهيب من عذابه، وإعلام بعدله في حكمه.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

و(هم) مبتدأ و(أولى) خبر والجملة صلة و(بها) متعلقان بأولى و(صليا) مصدر صلي بكسر اللام وفتحها : النارَ، أي : دخلها، وهو تمييز وقيل : صليا جمع صالٍ؛ فانتصب على الحال.

أي : "ثم لنحن أعلم من هؤلاء الذين ننزعهم من كلّ شيعة أولاهم بشدّة العذاب، وأحقهم بعظيم العقوبة"[٥].

وفي التمييز فائدة وهي التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص بأصل العذاب لاشتراكهم فيه[٦].

الموضع السادس في قوله تعالى : (لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا)(الجن/ ٢٨).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

---

(١)التبيان للعكبري٢/ ٨٥٢.

(٢)تفسير الطبري١٨/ ٤٨.

(٣)ينظر: التحرير والتنوير١٥/ ٣٤٢، باختصار.

(٤) تفسير النسفي٢/ ٣٠٦.

(٥)تفسير الطبري١٨/ ٢٢٩.

(٦)ينظر:إعراب القرآن وبيانه ٦/ ١٣٠بتصرف.

وقعت الآية الكريمة خاتمة لسورة الجن، في سياق الحديث عن سعة علم الله تعالى، وأنه وحده الذي يملك الضر والنفع، وأنه ما على الرسول(أي رسول كان) إلا البلاغ، ثم يظهر الله علمه بهذا التبليغ للناس يوم القيامة؛ليقيم عليهم الحجة، و يجازي كلا بما عمل، وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

اختلف العلماء في إعراب (عددا) على ثلاثة أوجه :

الأول-تمييز منقول من المفعول به، والأصل : أحصى عدد كل شيء، كقوله تعالى : (وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا)(القمر/ ١٢)، أي : عيون الأرض، وفي كونه ثابتًا من لسان العرب خلاف[١]

والثاني- منصوب على المصدر من معنى(أحصى)؛لأنه بمعنى(عد)، ومنع مكي نصبه على المصدر؛للإظهار"يعني لفك إدغام الدال في(عددا)، ولو كان مصدرا لأدغم.

وأجيب بأنه لا يلزم أن يكون مصدره على (فَعْل) بسكون العين، فإنه يجوز فتحها.

والثالث-حال، أي : وأحصى كل شيء في حال العدد، فلم تخف عليه سقوط ورقة ولا حبة في ظلمات الأرض ولارطب ولا يابس، وقيل : وضبط كل شيء معدودا محصورا.

والوجه الأول أظهر في التركيب والتقدير، وإليه مال الطبري في قوله : "علم عدد الأشياء كلها، فلم يَخْفَ عليه منها شيء"[٢]، وإن كنت أميل إلى إعرابه حالا ، و هو الأولى عند كثير من العلماء[٣].

ولكن من أعربه مصدرا فقد جعل (أحصى) بمعنى(عدّ)، وساوى بين العدد والعدّ. والحق الذي أراه أن هناك فرقا بين الإحصاء والعد، فالإحصاء هو الإحاطة بالعدد كله. على سبيل الإجمال[٤]، والعدّ على سبيل التفصيل، فالإحصاء أخص من العد[٥]، وهو أبلغ منه.

"وَالْعَدَدُ : بِالْفَكِّ اسْمٌ لِمَعْدُودٍ وَبِالْإِدْغَامِ مَصْدَرُ عَدَّ، فَالْمَعْنَى هُنَا : وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ مَعْدُودًا، وَهُوَ نَصْبٌ عَلَى الْحَالِ، بِخِلَافِ قَوْلِهِ تَعَالَى : وَعَدَّهُمْ عَدًّا [مَرْيَم : ٩٤] . وَفَرَّقَ الْعَرَبُ بَيْنَ الْمَصْدَرِ وَالْمَفْعُولِ؛لِأَنَّ الْمَفْعُولَ أَوْغَلُ فِي الِاسْمِيَّةِ مِنَ الْمَصْدَرِ فَهُوَ أَبْعَدُ عَنِ الْإِدْغَامِ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي الْإِدْغَامِ لِلْأَفْعَالِ"[٦]، "وأيًا ما كان ففائدتُه : بيانُ أنَّ علمَهُ تعالَى بالأشياء ليس على وجهٍ كليَ إجماليَ، بلْ

(١) ينظر: البحر المحيط ٨:٣٥٧، والتبيان للعكبري ٢:١٤٣، و البيان ٢:٤٦٨.

(٢) تفسير الطبري٢٣/ ٦٧٤.

(٣) ينظر:معاني القرآن وإعرابه للزجاج٥/ ٢٣٨، والكشاف للزمخشري٤/ ٦٣٣، والتحرير والتنوير٢٩/ ٢٥١.

(٤) ينظر:جامع العلوم في اصطلاحات الفنون أللقاضي عبد النبي نكري، (باب الألف مع الحاء المهملة)١/ ٣٨، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط/ ١، ١٤٢١ه/ ٢٠٠٠م.

(٥) ينظر:تاج العروس(حصا).

(٦) التحرير والتنوير٢٩/ ٢٥١.

على وجهٍ جزئيَ تفصيليَ؛فإنَّ الإحصاءَ قد يرادُ به الإحاطةُ الإجماليةُ كما في قولِه : (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ الله لاَ تُحْصُوهَا) أي : لا تقدروا على حصرها إجمالا فضلا عن التفصيل"[١].

اللهم إنك أحصيت كل شيء عددا، فاغفر لنا ما أحصيته من ذنوبنا، فإنك قلت : أحصاه الله ونسوه!

الموضع السابع في قوله تعالى : (وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا)(الكهف/ ٢٤).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت الآية في سياق النهي عن الجزم بوقوع شيء مستقبلا، إلا بالاستثناء؛لأنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله، وهذا تأديب من الله لنبيه ﷺ، ولجميع المكلفين، واذكر ربك إذا نسيت المشيئة، وقل-يا رسول الله- عسى أن يوفقني ربي ويهديني ويدلني على شيء أقرب في الهداية والإرشاد من هذا الذي قصصته عليكم من أمر أصحاب الكهف، أو من هذا الذي نسِيتُ، أو استثنَيتُ.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

فقوله : (رشدا) تمييز[٢]وقيل مفعول مطلق، وجوز بعضهم أن يكون مفعولا ثانيا ليهديني[٣].

يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل : ولعل الله أن يهديني فيسدّدني لأسدَّ مما وعدتكم وأخبرتكم أنه سيكون، إن هو شاء[٤]. "وَانْتَصَبَ رَشَداً عَلَى تَمْيِيزِ نِسْبَةِ التَّفْضِيلِ مِنْ قَوْلِهِ : لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ مُبَيِّنٌ لِنَوْعِ فعل أَنْ يَهْدِيَنِ لِأَنَّ الرُّشْدَ نَوْعٌ مِنَ الْهِدَايَةِ"[٥]، أي : يهديني هداية، والأول أقرب، أيْ : أيُّ شيءٍ أقربُ إرشادًا للناس ودلالة[٦].

وتظهر دلالة التمييز هنا في معرفة الفرق بين الهداية والرشاد؛إذ الفرق بَينهما أَن الْإِرْشَاد على الشَّيْء هُوَ التطريق اليه والتبين لَهُ، وَالْهِدَايَة هِيَ التَّمَكُّن من الْوُصُول إليه، وَقد جَاءَت الْهِدَايَة للمهتدي فِي قَوْله تَعَالَى (اهدنا الصِّرَاط الْمُسْتَقيم)، فَذكر أَنهم دعوا بالهداية وهم مهتدون لَا محَالة، وَلم يجيء مثل ذَلِك فِي الْإِرْشَاد، وَيُقَال أَيْضا : هداه إِلَى الْمَكْرُوه كَمَا قَالَ الله تَعَالَى (فاهدوهم إِلَى صِرَاط الْجَحِيم) وَقَالَ تَعَالَى : (إِنَّك لعلى هدى مُسْتَقِيم) وَالْهدى الدّلَالَة فَإِذا كَانَ مُسْتَقِيمًا فَهُوَ دلَالَة إلى الصَّوَاب، والإيمان هدى؛لأنه دلَالَة إلى الْجنَّة وَقد يُقَال : الطَّرِيق هدى، وَلَا يُقَال أرشده إلا إِلَى المحبوب، والراشد الَّذِي صلح بِمَا فِيهِ نَفسه مِمَّا يبْعَث على الْخَيْر، والراشد : الْقَابِل لما دلّ عَلَيْهِ من طَرِيق الرشاد، والمرشد : الْهَادِي للخير وَالدَّال على طَرِيق الرشد، وَمثل ذَلِك مثل من يقف بَين طَرِيقين لَا يدْرِي أَيهمَا يُؤَدِّي الى

---

(١) تفسير أبي السعود٩/ ٤٨.

(٢)الجدول١٥/ ١٦٨، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري٢/ ٨٤١.

(٣) ينظر:بلاغة القرآن في الإعجاز إعرابا وتفسيرا بإيجاز ، بهجت عبد الواحد٦/ ٣٣.

(٤)تفسير الطبري١٧/ ٦٤٦.

(٥) التحرير والتنوير١٥/ ٢٩٩، وينظر: الجدول١٥/ ١٦٨.

(٦) ينظر:إعراب القرآن وبيانه٥/ ٥٦٣، ٥٦٤.

الْفَرْض الْمَطْلُوب، فَإِذا دله عليه دَال فَقد أرشده[١]. فعلم من ذلك أن التمييز بلفظ(رشدا) يدل على رجائه التمكن من الخير بأقرب طريق وأصوبه وأنفعه، لا مطلق الهداية إلى طريق ما، وفي ذلك إشارة إلى ما هو عليه من الهداية بعد نزول قصة أصحاب الكهف وإجابة سؤاله، و طلبه الزيادة منها، وبلوغ الطريق الأقصد.

المسألة الرابعة : **ثلاثة مواضع متفرقات** :

الموضع الأول : قوله : (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا)٣٧ .

المعنى السياقي للآية الكريمة : وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن مجموعة من الأوامر والنواهي، وكانت خاتمة لها، وفيها النهي عن التكبر والخيلاء والتعالي.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

اختلف المعربون في إعراب(طولا) على النحو الآتي :

يقول العكبري : "(طولا) مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ الْفَاعِلِ أَوِ الْمَفْعُولِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَمْيِيزًا، وَمَفْعُولًا لَهُ، وَمَصْدَرًا مِنْ مَعْنَى «تَبْلُغَ»[٢].

ويقول النسفي : "{ولن تبلغ الجبال طولا} بتطاولك، وهو تهكم بالمختال، أو لن تحاذيها قوة وهو حال من الفاعل أو المفعول"[٣].

ورجح أبو حيان كونه تمييزا[٤]وأرى أنه تمييز محول عن الفاعل[٥]؛أي : لن يبلغ طولك الجبال، ولمناسبة تطاول المختال، وما رآه العكبري من جواز كونه مفعولا له-بعيد؛لأن المصدر(طولا) ليس قلبيا، وهو من شروطه[٦].ومن دلالات التمييز هنا ما يأتي :

١-شدة التهكم بهذا المتطاول الذي لن يبلغ طوله-مهما يكن-طولَ أقصرِ جبل، فأنى له أن يتبختر أو يتكبر في مشيته!

٢-التشنيع على المتكبر أو المختال.

---

(١) ينظر:المفردات في غريب القرآن للراغب١/ ٢٠٩.

(٢) التبيان للعكبري٢/ ٨٢٢.

(٣) تفسير النسفي٢/ ٢٥٧.

(٤) ينظر:البحر المحيط٧/ ٥٠.

(٥) ينظر:الجدول٥/ ١٥، وإعراب القرآن وبيانه٥/ ٤٣٦.

(٦)والمراد بالمصدر القلبي:ما كان لفعل من أفعال الباطن، كالتعظيم والإجلال والتحقير والخشية والخوف والجرأة والرغبة والرهبة والحياء والشفقة، ونحوها.

ويقابلها أفعال الجوارح (أي الحواس الظاهرة)، كالقراءة والكتابة والقعود والقيام والوقوف والجلوس والمشي والنوم واليقظة، ونحوها).

٣-النظر إلى من هو أعظم منك خِلقة يغنيك عن النظر إلى نفسك بغرور أو عجب أو خيلاء، فقدم ذكر الجبال وأخر الطول، وهذا من أسرار التمييز المحول عن الفاعل هنا؛إذ التحويل سبب في التأخير، أعني تأخير الفاعل(التمييز) وتقديم المفعول(المميَّز عليه)، فهذا هو الفرق بين التعبير القائل : لن يبلغ طولك الجبال، وبين النص القرآني البليغ.

الموضع الثاني:قوله (لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا)الكهف/ ١٨ .

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وردت الآية في سياق الحديث عن قصة أهل الكهف، وفيها بيان حفظ الله لدينهم وبدنهم من كل سوء، فلا يراهم أحد إلا ويظن أنهم أيقاظ، ويقلبهم الله يمينا وشمالا، ليحفظ أبدانهم من الأرض، ولا يطلع عليهم أحد إلا ويفر منهم، ويملأ الرعبُ قلبَه.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

والرعب : الفزع، وهو تزعزع واضطراب، مأخوذ من قولهم : سنام رعيب ومرعب : ممتلئ سمين، فترعيبه يعني ارتجاجه وغلظه، كأنه يرتج من سمنه[١].

"وَقِيلَ : إِنَّهُ تَعَالَى جَعَلَهُمْ بِحَيْثُ كُلُّ مَنْ رَآهُمْ فَزِعَ فَزَعًا شَدِيدًا، فَأَمَّا تَفْصِيلُ سَبَبِ الرُّعْبِ فَاللهُ أَعْلَمُ بِهِ، وَهَذَا هُوَ الْأَصَحُّ وَقَوْلُهُ : وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ لَمُلِّئْتَ بِتَشْدِيدِ اللَّامِ وَالْهَمْزَةِ وَ الْبَاقُونَ بِتَخْفِيفِ اللَّامِ، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ كَثِيرٍ بِالتَّخْفِيفِ : وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ إِلَّا أَنَّ فِي التَّشْدِيدِ مُبَالَغَةً"[٢].

واختلفوا في إعراب كلمة(رعبا)، فيرى بعض المعربين أنه تمييز[٣]، ويرى آخرون أنه مفعول[٤].

وقال أبو حيان : " وَانْتَصَبَ رُعْبًا عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ ثَانٍ، وَأَبْعَدَ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ تَمْيِيزٌ مَنْقُولٌ مِنَ الْمَفْعُولِ كَقَوْلِهِ : (وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا) عَلَى مَذْهَبِ مَنْ أَجَازَ نَقْلَ التَّمْيِيزِ مِنَ الْمَفْعُولِ، لِأَنَّكَ لَوْ سَلَّطْتَ عَلَيْهِ الْفِعْلَ مَا تَعَدَّى إِلَيْهِ تَعَدِّي الْمَفْعُولِ بِهِ بِخِلَافِ، وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا"[٥].

والراجح أنه تمييز محول عن الفاعل لا المفعول، كما ذكر ذلك ابن عاشور بقوله : "وَانْتَصَبَ (رُعْبًا)عَلَى تَمْيِيزِ النِّسْبَةِ الْمُحَوَّلِ عَنِ الْفَاعِلِ فِي الْمَعْنَى؛لِأَنَّ الرُّعْبَ هُوَ الَّذِي يَمْلَأُ، فَلَمَّا بُنِيَ الْفِعْلُ إِلَى الْمَجْهُولِ لِقَصْدِ الْإِجْمَالِ ثُمَّ التَّفْصِيلُ صَارَ مَا حَقُّهُ أَنْ يَكُونَ فَاعِلًا تَمْيِيزًا، وَهُوَ إِسْنَادٌ بَدِيعٌ حَصَلَ مِنْهُ التَّفْصِيلُ بَعْدَ الْإِجْمَالِ، وَلَيْسَ مُحَوَّلًا عَنِ الْمَفْعُولِ كَمَا قد يلوح بادىء الرَّأْيِ"[٦].

---

(١) ينظر:المعجم الاشتقاقي(رعب)٢/ ٨١٩.

(٢) ينظر:تفسير الرازي٢١/ ٤٤٤، وينظر:السبعة لابن مجاهد ٣٨٩، والنشر لابن الجزري٢/ ٣١٠.

(٣) ينظر:معاني القرآن وإعرابه للزجاج٣/ ٢٧٥، وإعراب النحاس٢/ ٢٩١..

(٤) ينظر:الجدول١٥/ ١٥٦.

(٥) البحر المحيط٧/ ١٥٤.

(٦) التحرير والتنوير١٥/ ٢٨٢.

والمعنى : "لو اطلعت عليهم في رقدتهم التي رقدوها في كهفهم، لأدبرت عنهم هاربا منهم فارّا، (وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا) يقول : ولملئت نفسُك من اطلاعك عليهم فَزَعا، لما كان الله ألبسهم من الهيبة، كي لا يصل إليهم واصل، ولا تلمِسهم يد لامس حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله، وتوقظهم من رقدتهم قدرته وسلطانه في الوقت الذي أراد أن يجعلهم عبرة لمن شاء من خلقه، وآية لمن أراد الاحتجاج بهم عليه من عباده"[١].

ومن دلالات التمييز بيان ما يعتري من يراهم لو قدر له الاطلاع عليهم، وفيه من عجائب الحفظ والعناية الإلهية ما لا يخطر على بال أحد.

الموضع الثالث : قوله تعالى : (قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا)(الكهف/ ١٠٩).

المعنى السياقي للآية الكريمة :

وقعت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن عظمة الله تعالى، وسعة صفاته، فعلمه شامل، وكلامه لا منتهى له، فلو صُيِّرت البحارُ كلُّها مدادًا، وصُيِّرت الأشجارُ كلُّها أقلامًا، و أراد الخلقُ أن يكتبوا كلماتِ الله، لتحطمتِ الأقلامُ، ولَنفِدَ المدادُ في البحار، ولم ينفَدْ من كلمات ربي شيءٌ، ولو جيء بمثل البحارِ بحارٌ.

التمييز وربط دلالته بالمعنى :

معنى (مددا)أي : زيادة ومعونة، والمداد ككتاب : الذي يكتب به، يمد القلم والكاتب بالحبر الذي يكتب به، وقراءة الجمهور(بمثله مددا)بفتح الميم والدال من غير ألف، وقرئ(بمثله مدادا)بكسر الميم، وبألف، وهي رواية شاذة[٢] ، كما روي عن الأعرج أنه قرأ(مِدَدا)بكسر الميم، من غير ألف، قال الزمخشري : جمع مِدَّة، وهو ما يستمده الكاتب فيكتب به[٣].

هذا، وقد اختلف العلماء في إعراب(مددا) على النحو الآتي :

---

(١) تفسير الطبري١٧/ ٦٢٦.

(٢) قرأ بها حفص في رواية، وأبوعمرو في رواية هارون(شاذة)، وابم مسعود وغيرهم، ينظر:مختصر ابن خالويه٨٢، والمحتسب٢/ ٢٥، والبحر المحيط٦/ ١٦٩.

(٣) ينظر:الكشاف للزمخشري٢/ ٧٥٠، وقد يشكل على القارئ استعماله في (القيح)وحده، ولكنه يستعمل كذلك في ما يستمده الكاتب فيكتب به، وأصله اللغوي واحد.

تمييز[١]	مفعول له[٢]	مصدر[٣]	حال[٤]	مفعول به[٥]
الطبري-الزجاج-ابن زمنين-الزمخشري-ابن عطية-القرطبي-النسفي- ابن هشام-البيضاوي-الأشموني-أبوحيان-النيسابوري-السيوطي-الآلوسي-ابن عاشور-	الطبري	جني- الطبري-ابن	ابن جني-	الدعاس

ويمكننا استنتاج ما يأتي :

أولا-رجحان إعرابه تمييزا عند كثير من العلماء؛لتحقق شروط التمييز فيه، فهو تفسير للإبهام الذي في لفظ(بمثله)، أي : مثل البحر في الإمداد.

ثانيا-اكتفى بعض العلماء ببيان المعنى، ولم ينص على الإعراب نصا، ويتجلى ذلك عند الطبري، فقد ذكر من المعنى ما يصلح لأن يكون ذا ثلاثة أوجه من الإعراب، حيث يقول :

"لو مددنا البحر بمثل ما فيه من الماء مددا، من قول القائل : جئتك مددا لك"

قلت : وهذا يحتمل كونه مفعولا لأجله، كما يحتمل التمييز.

وقول الطبري : "وقد ذكر عن بعضهم"ولو زدنا بمثل ما فيه من المداد الذي يكتب به مدادا"

قلت : وهذا يحتمل نصبه على المصدر، وجعْلُ (مددا)مثل(مدادا)يؤكده قراءة (بمثله مدادا)، فهذه الأوجه الثلاثة، وأرجحها التمييز.

ونصبه ابن جني على المصدر، لا ب(جئنا) وإنما بفعل مضمر يدل عليه، كأنه قال : "ولو أمددناه به إمدادا، ثم وضع (مددا)موضع إمدادا"، وإعرابه مصدرا من دون إضمار أولى؛فإن ما لا يحتاج إلى تأويل أولى مما يحتاج إليه.

ثالثا-من أعربه حالا يكون كقولك : جئتك بزيد عونا لك ويدا معك.

رابعا-إعرابه مفعولا به تفرد به الدعاس، وهو بعيد عن أقوال السابقين، أو ما حاموا حول حماه.

---

(١) ينظر-على الترتيب المذكور:تفسير الطبري١٥/ ٤٣٧، إعراب القرآن وبيانه للزجاج٣/ ٣١٦، تفسير ابن زمنين٣/ ٨٦، والكشاف للزمخشري٢/ ٧٥٠، تفسير ابن عطية٣/ ٥٤٧، وتفسير القرطبي١١/ ٦٨، وتفسير النسفي٢/ ٣٢٣، وأوضح المسالك٢/ ٢٩٩، تفسير البيضاوي٣/ ٢٩٥، وشرح الأشموني على الألفية١/ ٥٣٠، والبحر المحيط لأبي حيان٧/ ٢٣٤، وتفسير النيسابوري٤/ ٤٦٣، وتفسير الجلالين٣٩٥، وروح المعاني للآلوسي٨/ ٣٧٤، والتحرير والتنوير١٦/ ٥٢.

(٢) ينظر:تفسير الطبري١٥/ ٤٣٧.

(٣) ينظر:المرجع السابق ذاته، والمحتسب٢/ ٣٥، الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي٦/ ٤٤٨٣، وتفسير الرازي٢١/ ٥٠٣.

(٤) ينظر إعراب القرآن للدعاس٢/ ٢٣٥.

(٥) ينظر:المرجع السابق ذاته.

وتظهر الفائدة من إعرابه تمييزا في المبالغة في كثرة كلمات الله، حيث إن التمييز تفسير للإبهام في لفظ (بمثله)، وكونه بمعنى"من"يزيد في المبالغة، ولله دَرُّ الزمخشري حين لخص ذلك بقوله :

" والمعنى : لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها-والمراد بالبحر الجنس- لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ الكلمات، وَلَوْ جِئْنا بمثل البحر مدادا لنفد أيضا، والكلمات غير نافدة، ومَدَداً تمييز، كقولك : لي مثله رجلا، والمَدَد مثل المِدَاد، وهو ما يُمدّ به"[١].

(١) الكشاف للزمخشري٥/ ٧٥٠.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير، سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين! وبعد،

فقد آن للباحث بعد هذه السَفْرةِ المباركةِ في رحاب القرآن الكريم-أن يحط الرحال؛ليستجمعَ ما أفاده من هذه الرحلة العظيمة، ليكون مأدبةً لكل عالم و محب للعلم.

فإليكم نتائج البحث، في قسمين :

القسم الأول : نتائج تتعلق بإحصاء ما رصده البحث من ظاهرة وقوع التمييز المنصوب فاصلة قرآنية.

١- بلغ عدد مواضع التمييز المنصوب في فواصل الآيات القرآنية سبعين موضعا.

٢-اتفق العلماء على إعراب التمييز الواقع فاصلة في واحد وأربعين موضعا، واختلفوا في تسعة وعشرين موضعا.

٣-تعبر الفواصل القرآنية-عموما-عن سياق الآية أو الآيات السابقة، وتتميز الآيات القرآنية المختومة بالتمييز-خصوصا-بتفسير الإبهام السابق في جملة أو كلمة، و التعبير عن مغزى السياق والمراد منه بكلمة فذة.

٤-اتفق العلماء على إعراب التمييز الواقع بعد أفعل التفضيل(قياسيا كان أم سماعيا)، نحو قوله : (وأقرب رحما)، (أكثر شيء جدلا)، (وأشد تنكيلا)، (وأشد تثبيتا)، (خير مستقرا وأحسن مقيلا)، وغير ذلك، ولم يختلفوا إلا في قوله : (أحصى لما لبثوا أمدا)؛وذلك تبعا لاختلافهم في نوع (أحصى) أفعل هو أم اسم؟، وكذلك اختلفوا في رشدا في قوله : (أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا)، أهو منصوب ب(يهديني على أنه مفعول ثان)، أم هو منصوب ب(أقرب)على التمييز؟، كما مر في البحث.

٥-اختلف العلماء في إعراب التمييز الواقع بعد(كفى)، بين كونه(تمييزا، أو حالا، أو منصوبا على المصدرية).

٦-بلغ عدد التمييز المنصوب الواقع بعد (أفعل) في فواصل الآيات-اثنين وثلاثين تمييزا، و هو أكثر التمييزات ورودا؛إذ أن نسبته ٤٦٪ تقريبا من عدد التمييزات الواقعة تمييزا.

٧-بلغ عدد التمييز الواقع بعد(كفى) في تذييل الآيات واحد وعشرين تمييزا، ونسبته ٣٠٪ تقريبا من نسبة التمييز الوارد في تذييل الآيات.

٨-بلغ عدد التمييز الواقع بعد أفعال المدح أو الذم تسعة تمييزات، بنسبة١٣٪ تقريبا.

٩-بلغ عدد الكلمات المفردة الواقعة تمييزا في فواصل الآيات إحدى وخمسين كلمة، بنسبة ٧٣٪ تقريبامن عدد التمييزات الواقعة فواصل.

١٠- أثبت البحث تعدد التمييز، وهو خلاف ما عليه النحاة، من عدم تعدد التمييز، بالنظر إلى تعدد الحال، وجاء التمييز متعددا لفظا ومعنى، أو معنى فقط في ثماني عشرة آية، وقد وقع الخلاف في إعرابها.

١١- وقعت صفة التمييز فاصلة قرآنية في موضع واحد، وهو قوله تعالى : (وكفى به إثما مبينا).

القسم الثاني من نتائج البحث : يتعلق بلب الدراسة وهو التمييز الواقع فاصلة ومناسبته المعنى، وقد توصل البحث إلى الآتي :

١-تجلت دلالة أسماء الله الحسنى الواقعة تمييزا في ختام الآيات القرآنية في الآتي :

(أ)-زيادة الترغيب والترهيب، وبيان جهتهما، نحو قوله تعالى : (وكفى بالله حسيبا)، و(كفى بالله وكيلا).

(ب)-وقوع أسماء الله الحسنى تمييزا في ختام الآية "كأنها أختام وتوقيعات ربانية على المعاني التي في الآيات لتوثقها، وتعللها، وتؤيدها، وتمنحها بعد التوضيح تأكيدا، و بعد التعليل حسنا أكيدا.

(ج)-تتميز معاني الأسماء الحسنى حال وقوعها تمييزا في فواصل الآيات بإيضاح الإبهام قبلها، لما فيها من معنى التمييز، وتأكيد العامل فيها ، نحو تأكيد معنى الكفاية في (كفى).

(د)-تجلية معنى الباء الداخلة على اسم الجلالة في أسلوب (وكفى بالله)، لبيان الفرق بين كفاية الله تعالى المطلقة، وكفاية العبد القاصرة.

٢-رصد ظاهرة تعدد التمييز في فواصل الآيات القرآنية، و معطياتها من التوسع في دلالات التمييز المتعدد، تبعا لاختلاف الدالّ لفظا ومعنى.

٣-قدرة التمييز على إيضاح المبهم الواقع قبله أفاد في معرفة بعض أسرار التكرار لبعض الفواصل القرآنية الواقعة تمييزا ، نحو(سبيلا) فقد جاءت تمييزا في الفواصل ست مرات، وتضافرت عدة عوامل على بيان معناها والمراد منها في كل موضع، مع اتفاقنا على وحدة المادة اللغوية لها، ومن أهم هذه العوامل المساعدة على تجلية معناها هو السياق وموقعها الفريد في خاتمة الآية، ووقوعها بعد أمر مبهم يفتقر إلى بيان.

٤-تأكيد الفروق اللغوية بين الألفاظ التي يظن بها الترادف، ولا سيما في ما وقع منها تمييزا في الفاصلة القرآنية؛لوضوح الدلالة من جهة مادته اللغوية، ومن جهة تركيبه في الجملة، ومن جهة موضعه في الآية، والاحتكام- في تحديد الفروق-إلى السياق.

٥- أهمية معرفة نوع العامل في توجيه إعراب الكلمة الواقعة تمييزا في الفاصلة القرآنية، كما في قوله : (أحصى لما لبثوا أمدا).

٦- اختلاف العلماء في إعراب الكلمة الواقعة تمييزا في فاصلة الآية أدى إلى إثراء المعنى أحيانا، وإلى الإغراق في النحو و عدم تحرير ما يلزم اختلافهم من معنى الآية أحيانا أخرى.

التوصيات :

أولا : أوصي الباحثين بتدبر الفواصل القرآنية لاستنباط المناسبات بينها وبين معاني الآيات، وفق قواعد اللسان العربي، وما صح من قواعد التفسير والأصول.

ثانيا : دراسة المصادر المختلفة الواردة في القرآن الكريم من خلال السياق القرآني لمعرفة الفروق الدلالية بينها، وسر مجيئها بصيغ مختلفة تبعا لنوع السياق، كما في(القيل والقول)، و(العتو والعتي)وما قيل إنهما بمعنى واحد.

هذا، وما كان من توفيق فمن الله تعالى وحده، وما كان من خطأ فمني، وأسأل الله تعالى أن يتجاوز عنا، وأن يتقبل منا أعمالنا، وأن يجعلنا ممن قال فيهم : (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ)(الأحقاف/ ١٦).

وصلِ اللهمَّ على سيدِنا محمدٍ وعلى آله وأصحابِه أجمعين، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين!

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإعجاز في دراسات السابقين، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، ١٩٧٤م.
- إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، وضع حواشيه وعلق عليه : عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١، ١٤٢١ه.
- إعراب القرآن الكريم، لأحمد عبيد الدعاس،، دار المنير ودار الفارابي – دمشق، ط/ الأولى، ١٤٢٥ه .
- إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش(ت ١٤٠٣هـ)، ، الناشر : دار الإرشاد للشؤون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، ط/ الرابعة، ١٤١٥ .
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات الأنباري، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، ط/ ٤، المكتبة التجارية، مصر، ١٩٦١م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام الأنصاري، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط.د.ت.
- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، المكتبة الأزهرية للتراث، ط/ الثالثة، لسنة١٤١٣ه/ ١٩٩٣م.
- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف، أثير الدين الأندلسي (المتوفى : ٧٤٥هـ)تح/ صدقي محمد جميل، الناشر : دار الفكر – بيروت، ط/ ١٤٢٠ هـ.
- بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه وخرج أحاديثه يسري السيد محمد، ، دار ابن الجوزي، ط/ الأولى١٤٢٧ه.
- البرهان في علوم القرآن، بَدْر الدِّينِ مُحَمَّد بْن عَبْدِ اللهِ بْن بهادر الزركشي (ت : ٧٩٤هـ)، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط : ١، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
- بلاغة القرآن في الإعجاز إعرابا وتفسيرا بإيجاز ، بهجت عبد الواحد الشيخلي، مكتبة دنديس– الأردن، ١٤٢٢ه/ ٢٠٠١م.
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د.فاضل السامرائي، ط/ شركة العاتك لصناعة الكتاب، ١٤٢٧ه/ ٢٠٠٦م .

• البيان في عد آي القرآن لأبي عمرو الداني، ، ط/ ١، تح/ غانم قدوري الحمد، الكويت، مركز المخطوطات والتراث١٩٩٤م.
• البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري
• البيان والتبيين، لعمرو بن بحر، الشهير بالجاحظ (ت : ٢٥٥هـ) ، الناشر : دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر : ١٤٢٣ هـ.
• تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، تح/ مجموعة من العلماء، دار الهداية .
• التبيان في إعراب القرآن، للعكبري(ت٦١٦ه) ، تح/ علي محمد البجاوي، الناشر : عيسى البابي الحلبي ، ط.د.ت.
• التحرير والتنوير=«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ) ، : الدار التونسية للنشر - تونس : ١٩٨٤ هـ.
• التعريفات للشريف الجرجاني، تح/ مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط/ الأولى، ١٤٠٣ه/ ١٩٨٣م.
• تفسير البغوي=معالم التنزيل في تفسير القرآن ، لأَبي مُحَمَّدٍ الْحُسَيْن بْن مَسْعُودٍ بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٠هـ) ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠ هـ.
• تفسير الرازي= مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت : ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣: ١٤٢٠ هـ.
• تفسير الزمخشري= الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرالزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)،الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣: ١٤٠٧هـ.
• تفسير الطبري المسمى : جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام محمد بن جرير، أبي جعفر الطبري(ت ٣١٠هـ) ، تح/ أحمد محمد شاكر، الناشر : مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
• تفسير القرطبي= الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت : ٦٧١هـ)، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر : دار الكتب المصرية - القاهرة ، ط/ الثانية/ ١٩٦٤م.
• التفسير الوسيط للقرآن الكريم لطنطاوي.، للشيخ محمد سيد طنطاوي، الناشر : دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط/ ١، ١٩٩٧م.

- تفسير المنار= تفسير القرآن الحكيم، لمحمد رشيد بن علي رضا (ت : ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠أ
- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري(ت : ٣٧٠ه)، تح : محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ ١، ٢٠٠١م
- الجدول في إعراب القرآن الكريم، المؤلف : محمود بن عبد الرحيم صافي (ت : ١٣٧٦هـ)، الناشر : دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة : ط/ ١٤١٨ هـ
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف ، المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) ، المحقق : الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر : دار القلم، دمشق، ط.د.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت : ١٢٧٠هـ) ، المحقق : علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط/ ١، ١٤١٥ هـ
- شأن الدعاء، لأبي سليمان حمد بن محمد البستي المعروف بالخطابي، الناشر : دار الثقافة العربية، ط/ ١، ١٤٠٤ه/ ١٩٨٤م.
- اشتقاق أسماء الله للزجاجي(ت٣٤٠هـ) ، تح/ د.عبد المحسن المبارك، مؤسسة الرسالة، ط:د.ت.
- السبعة في القراءات لابن مجاهد، تح : شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ط/ ٢، ١٤٠٠ه
- شرح قطر الندى وبل الصدى، لابن هشام، تح/ محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة، ط/ ١١ ، ١٣٨٣ه.
- صحيح البخاري، ط/ دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ١٤٢٣ه.
- طريق السالك على أوضح المسالك، لمحمد محيي الدين عبد الحميد، .
- العوامل المائة النحوية في أصول علم العربية، للشيخ عبد القاهر الجرجاني ، شرح الشيخ/ خالد الأزهري، وتح/ د.البدراوي زهران، ط/ ٢، ١٩٨٨م
- القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز، للمخللاتي، تحقيق : عبد الرازق بن علي بن إبراهيم، ط/ الأولى١٩٩٢م
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور(ت : ٧١١هـ)، الناشر : دار صادر – بيروت، ط/ ٣- ١٤١٤ هـ.
- الكليات للكفوي، تح/ عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- اللمع في العربية لابن جني ، تح/ حامد عبد المؤمن، ط/ ٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م.

- المجتبى من مشكل إعراب القرآن، للدكتور أحمد الخراط، ، لناشر : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة عام : ١٤٢٦هـ ،
- مخطوطة الجمل-معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، لحسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر الطبعة : الأولى، ٢٠٠٣ – ٢٠٠٨م.
- معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت : ٢٠٧هـ)، تح : أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر : دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط/ ١
- معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبي إسحاق الزجاج (ت : ٣١١هـ)، تح/ عبد الجليل عبده شلبي، الناشر : عالم الكتب، بيروت، ط/ ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم لأستاذي الدكتور محمد حسن جبل (ميز) / ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط/ ١، ٢٠١٠..
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الجيل، بيروت.
- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس (ت : ٣٩٥هـ)تح : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر عام النشر : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لعبد الله بن يوسف، أبي محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت : ٧٦١هـ) ، تح/ د. مازن المبارك، الناشر : دار الفكر – دمشق
- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تح/ صفوان الداودي، دار القلم-دمشق-بيروت، ط/ الأولى، ١٤١٢ه
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، الناشر : دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط.دت.

فهرس الموضوعات

المقدمة	٤١٥
التمهيد	٤٢٠
المبحث الاول :اسماء الله الحسنى الواقعة تمييزا في فواصل الايات، ومناسبتها المعنى.	٤٢٥
قوله تعالى : (وكفى بالله حسيبا)، ونظائره، ودلالاته.	٤٢٥
قوله تعالى : (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا)	٤٣١
قوله تعالى : (وكفى بالله شهيدا)ونظائره.	٤٣٢
قوله تعالى : (وكفى بالله وكيلا) ونظائره	٤٣٦
قوله تعالى : (وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا)، ونظيره، ودلالاته.	٤٣٩
قوله تعالى : (وسع كل شيء علما) ودلالته.	٤٤٠
قوله تعالى : (وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا).	٤٤٠
قوله تعالى : (وكفى بالله عليما)، ودلالته.	٤٤١
المبحث الثاني : تعدد التمييز في ختام الايات ومناسبته المعنى	٤٤٢
اولا : دلالة التمييزين في فاصلة الاية، واثره في المعنى.	٤٤٢
ثانيا : دلالة التمييز وما عطف عليه، واثره في المعنى.	٤٥٠
المبحث الثالث : التمييز المنفرد في فواصل الايات ومناسبته المعنى.	٤٥٣
المطلب الاول : الفروق الدلالية بين مايظن به الترادف.	٤٥٣
الفرق بين السبيل والطريق والصراط، ومناسبة كل لسياقه.	٤٥٥
دلالة لفظي(تاويلا وتفسيرا) في ختام الايات.	٤٦٢
دلالة لفظي(حديثا وقولا) في ختام الايات.	٤٦٥
الفرق بين القيل والقول.	٤٦٧
دلالة الفاظ(مصيرا، ومنقلبا، وعقبا، واملا ومردا)، واثرها في المعنى.	٤٦٧
دلالة لفظي(قرينا ورفيقا) واثرهما في المعنى.	٤٧٠
دلالة لفظي(عملا واعمالا) واثرهما في المعنى.	٤٧٢
دلالة لفظي(نفيرا ونفرا) واثرهما في المعنى.	٤٧٤
دلالة لفظي(عتيا وعتوا) واثرهما في المعنى.	٤٧٤
اي العتوين اثقل؟ ومناسبة كل لمعناه.	٤٧٦
المطلب الثاني : التمييز الفد (غير المترادف) في ختام الايات القرانية، ومناسبته المعنى.	٤٧٦
المسالة الاولى:دلالة التمييز الواقع بعد(كفى)(في غير اسماء الله الحسنى)،واثره في المعنى.	٤٧٦
المسالة الثانية : دلالة التمييز الواقع بعد افعال المدح والذم، واثره في المعنى.	٤٧٩
المسالة الثالثة : المسالة الثالثة : دلالة التمييز الواقع بعد(افعل)، واثره في المعنى.	٤٨٢
وقفة طويلة مع فاصلة قوله تعالى : (ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا)(الكهف/ ١٢).	٤٨٤
الفرق بين الإحصاء والعد.	٤٨٩
الفرق بين الهداية والإرشاد	٤٩٢
ثلاثة مواضع متفرقات.	٤٩٣
الخاتمة.	٤٩٨
فهرس المصادر والمراجع.	٥٠١
فهرس الموضوعات.	٥٠٥